

نصوص
٥٦ مسرحية

سارة وأخواتها

تأليف
حزين عمر

تقديم
عبد الغنى داود



الهيئة العامة لقصور الثقافة

نصوص مسرحية

سارة وأخواتها

تأليف : حزين عمر

المراجع اللغوى : ممدوح بدران

الطبعة الأولى : ٢٠٠٥
رقم الإيداع : ١٤٧٢٠/ ٢٠٠٥

المراسلات باسم مدير التحرير :
على العنوان التالى :
١٦ (أ) ش أمين سامى - قصر العينى -
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

الطباعة والتنفيذ
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

نصوص

مسرحية

تقديم

يقسم الشاعر والكاتب (حزين عمر) تجربته المسرحية «سارة وأخواتها» إلى عشرة (مواقف) أو فلنقل مشاهد، أو مناظر أو (أجزاء) وهو المصطلح الذى استخدمه مارون نقاش (١٨١٧ ـ ١٨٥٥) فى مسرحياته، وتبعه البعض فى هذا الاصطلاح ـ بينما استخدم يعقوب صنوع (١٨٣٩ ـ ١٩١٢) فى نصوصه المنشورة المنسوبة إليه لفظة (منظر) ..إلى أن شاعت بعد ذلك كلمة (مشهد) ، وهى الأفضل... فى رأى (الدكتور إبراهيم حمادة) فى «معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية» لأنها تنفرد - بالدلالة الديكورية ـ أى السينوغرافية، أى المشهدية .

ونشير هنا، إلى أن كلمة (موقف) فى هذا النص ـ ذات دلالة لدى المؤلف ـ الذى استوحى نصه المسرحى من وقائع التاريخ، وحدثها المحورى هو: (ثورة البشموريين) التى وقعت بالفعل فى شمال مصر عام ٢١٦ هجرية، وحول هذه الثورة يجسد المؤلف أحداثا ووقائع متخيلة... لذا فلدينا شخصيات بعضها متخيل، وبعضها تاريخى معروف من مثل: (الخليفة المأمون ، وإبراهيم

بن المهدى عم المأمون ، وأحمد بن الأسبط عامل الخراج فى مصر وعيسى بن منصور الرافعى والى مصر، فى ظل خلافة المأمون، والأفشين بن حيدر قائد جيش المأمون ، والوزير حسن بن سهل، ويحيى بن أكثم)..والتى التقطها الكاتب من كتب التاريخ ..أما الأحداث المتخيلة فقد استلهمها من كتب التراث الأدبية مثل: «الأغانى» للأصفهانى، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينورى.

وكلمة (موقف) - والمواقف العشرة هى أقرب إلى معنى الموقف الدرامى أو المواقف الدرامية التى يقوم عليها بناء أى مسرحية، والذى لا يختلف كثيرا عن كلمة (مشهد) - هذا المصطلح الذى يمثل وحدة الفصل فى التقسيم الغربى للمسرحية، وذلك لأن (الفصل) هو الوحدة الأساسية فى تكوين المسرحية - المقسم فعلها العام إلى وحدات بنائية محددة - حيث يمكن تقسيم الفصل الواحد إلى وحدات بنائية صغيرة يسمى كل منها بالمنظر أو المشهد، ونشير إلى أن النص الغربى منذ أرسطو الذى لاحظ أن المأساة اليونانية تكاد تتضمن خمسة أجزاء كمية ..تميز بينها أناشيد جماعية، وتبع (أرسطو) فى هذا التقسيم (سنيكا، وهوراس) وعصر النهضة فى إنجلترا

وفرنسا.. حيث ينقسم النص المسرحى إلى خمسة فصول .. يحتوى كل فصل على مشهد أو أكثر، ويقال أيضا إن هذا التقسيم (الخماسى) فى تلك العصور هو من إبداع نساخ المسرحيات وناشريها ، وليس من عمل الكاتب المسرحى، كشكسبير مثلا - وتغير هذا الشكل فى القرن التاسع عشر على يدى (إبسن وتشيكوف) وتواصل التغيير، حيث ظلت الاتجاهات مستمرة ، والتى ترمى إلى إلغاء هذا البناء التقليدى، والاستعاضة عنه بتقسيم العمل الدرامى إلى مناظر أو أجزاء - كما حدث فى مسرحية «الاستثناء والقاعدة» (لبريخيت) والتى تقع فى ثمانى (لوحات) إلى أن جاء التجريب فى المسرح ، ليسعى إلى هدم الشكل القديم واستبداله بشكل جديد لا يعترف بتقسيمات الفصول والمشاهد ليأتى أغلبها فى جزء واحد... دون اهتمام بالحوار المسرحى أو العناصر المسرحية الكلاسيكية الأخرى ..لكن (حزين عمر) لا يستهويه التجريب.. بل يقدم نصا مسرحيا رصينا، واستخدامه (للموقف) هنا هو الاستخدام المتعارف عليه فى المسرح (للمشهد) الذى يتخذ عنوانه من تغيير الديكور ومواقع الأحداث أو الإيحاء بمرور الوقت، لهذا فقد يطلق المشهد على موقف أو أكثر - فى الفصل الواحد - أو حتى

فى المشهد كوحدة مستقلة، وعلى هذا فالمسرحية تتركب كلها من مشاهد مسلسلة أو من وحدات مشهدية.

لكن هل يمكن أن نطلق على هذا النص (دراما تاريخية) أى: قطعة درامية تتخذ مادتها من التاريخ - حيث يمكن أن نطلق عليها (مأساة تاريخية) أو (ملهاة تاريخية) مثلا... حيث إن الموضوع المعالج مستمد من أحداث الماضى - وفى هذا الشكل مال بعض النقاد إلى القول بوجوب التزام الكاتب المسرحى بالحقيقة التاريخية ... بينما مال البعض إلى الالتزام بالخطوط العامة الأساسية للتاريخ... دون التقيد بالتفاصيل الجزئية - بينما مال البعض الآخر إلى التصريح الحر للكاتب بأن يعمل خياله فى المادة التاريخية... مثلما يعمله فى وقائع الحياة، وهناك أيضا (المسرحية المؤرخة) - وهى عبارة عن إعداد مسرحى لأحداث التاريخ، وقيل إنها تهتم بالمواقف السياسية - بينما تهتم (المسرحيات التاريخية) بالخطأ الأخلاقى - وهناك شكل آخر غير هذه الأشكال السابقة هو شكل (المسرح التسجيلى الوثائقى) الذى يعرف بأنه : (شريحة مقتطعة من التاريخ، خلال رؤية عصرية) والتى قد تختلط مع شكل (المسرح الملحمى) الذى يعتمد على الوثائق والسجلات التاريخية وغيرها

من المواد ...

فأين نصنا هذا «سارة وأخواتها» تأليف وأشعار (حزين عمر) من هذه الأشكال المسرحية المختلفة؟ ترى هل هو (دراما تاريخية) أم هو (المسرحية المؤرخة) - أم هو مزيج بينهما ، أم هو (مسرح تسجيلى وثائقى) كشريحة مقتطعة من التاريخ، من خلال رؤية معاصرة؟

أتصور أنه قد ضم هذه (التعريفات) الثلاثة فى نصه .. حيث اقترب كثيرا من المسرحية المؤرخة التى تهتم بالمواقف السياسية حيث استطاع أن يؤكد على دور اليهود التخريبى فى إثارة الفتن ونسج المؤامرات ، وإشعال الحروب، والإيقاع بأمتنا العربية فى مهاوى التشتت والانقسام ، ومن خلال أحداث تدور فى عشرة (مواقف)... تجسد تواطؤ بعض القبائل العربية فى شمال مصر وعلى رأسهم (بنو لخم) مع بعض الأقباط فى مصر، واشتراكهما معا فى تمرد ضد خلافة المأمون، وهو التمرد الذى أشعلته دسائس اليهود (حاييم بن عطا، وسارة بنت يهوذا، وسما بنت داود وسلم الخاسر، وابن الأسبط، وأبو الدود العيار) وسعيهم بكل الوسائل عن طريق : الجنس ، والمال ، والدسائس لإثارة الفتن فى الأمة الإسلامية ووصولهم إلى

اختراق قصر الخليفة المأمون والتجسس على أسراره، وإثارتهم فيما عرف في التاريخ (بثورة البشموريين) في دلتا مصر... لذا يستعين (المأمون) ببابا الإسكندرية، وبطريرك أنطاكية ويوسطهما ليعقدا صلحا بينه وبينهم لكن المتمردين يكابرون ويعاندون، ويطرودنهما ويفشلان في مهمتهما...

وينتهي الأمر بالقضاء على هذه الفتنة على يد جيش المأمون، وتنكشف ألاعيب اليهود للإيقاع بهذه الأمة من المسلمين والأقباط..

استطاع الشاعر والكاتب المسرحي في نصه هذا أن يقدم عملا جادا تختلط فيه الشخصيات التاريخية الحقيقية بالشخصيات المتخيلة في نسيج محكم، وفي صياغة نثرية رصينة تلفت النظر ببلاغتها اللفظية وفي المعنى، دون أن يسقط في (مونولوجات) طويلة..أي الأحاديث الفردية الطويلة... بل يدور الحوار في هذا النص سريعا وحيا ونابضا ، منطلقا مع سرعة الأحداث، وكثف الحوار تكثيفا شاعريا.. أي أنه من النصوص التي تتميز بروح الشعر وتولد نفس تأثيره الوجداني - بما فيه من صور وأخيلة، وفي عشرة مواقف مختلفة المواقع، فهو نص يصلح للإخراج والفرجة.. كما يصلح للقراءة التي لها

متعتها الخاصة.. فقد تعدد فيه أقطاب الصراع - بما يجعل (المناضلة) بين القوتين المتعارضتين تنمو بمقتضى تصادمهما.. إلا أنه كان من الممكن أن يزيد اشتعال أوار هذا الصراع لو كان قد جمع ما بين الشخصيات اليهودية المتآمرة، ويدفع بهم إلي ساحة الأحداث كي يحتلوا مساحة أكبر فى النص مع المتآمرين المتمردين ذوى الأهداف الانفصالية.. وذلك منذ البداية فى أكثر من مشهد أو فلنقل فى أكثر من موقف.. ليكون البطل الضد أو (الخصيم) خصم البطل ... والبطل هنا بطل جماعى ..فليس هو (المأمون) فقط... وليس الوالى ... بل هو النظام العادل القوى، أى يكون البطل الضد قوى الإرادة والحجم ، وهى القوة التى تؤهله لمنازلة الشخصية المحورية ومناضلتها ، والتى قد تكون أحيانا قوية ، وقويمة السلوك أيضا ، ونحن هنا فى هذا النص ليس لدينا شخصية محورية محددة - كما سبق أن أشرنا - فهو أقرب إلى النصوص التى تجمع بين عدد كبير من الشخصيات دون التركيز على شخصية محورية بعينها، وهذا ما يجعل هذا النص بانوراما عريضة شيقة - تحمل إسقاطا آنيا... مهموما بقضايانا المصرية..

عبد الغنى داود

سارة وأخواتها

الموقف الأول

فى بطء يفتح الستار على نغمات للعود... ومع الرؤية الكاملة لخشبة المسرح، تبدو جلسة الخليفة المأمون، فى قصره ببغداد وهو فى صدارتها ، وبجواره يحيى بن أكثم أحد حكماء العرب، وإبراهيم بن المهدى عم المأمون، وهو مغن وملحن، والشاعر سلم الخاسر، والمغنية الأمة «عريب»، وبجوارها على بن عبد الله بن سيف الملقب بعلويه وهو الممسك بالعود، وتستمر النغمات... فيبادر المأمون قائلا:

المأمـــــون: أحسنت ياعلويه..وسوف تحسن «عريب» كذلك حين تشدو الآن.

عـــــريب: أمر مولاى الخليفة المأمون... فأى الأصوات تحب سماعه..

المأمـــــون: لك أن تختار يايحيى بن أكثم

يحى بن أكثم: الخيرة، ما يختار أمير المؤمنين..

المأمـــون: أظنك يا سلم الخـاسـر تحب أن تغنى عـريب وعلويه بعضا من شعرك..

سلم الخـاسر: أحب ما يحب أمير المؤمنين!!

المأمـــون: إذن غنى ياعريب... غنى قول أبى العتاهية: «عذيرى من الإنسان..»

(يبحلق سلم الخاسر بامتعاض ، وتبدو علامات التأفف والحركات الانفعالية فى الطرق الخفيف بقدميه أثناء الغناء... والتهام ما تمتد يداه إليه من فـاكـهـة... بينمـا تبـدأ عـريب فى الغناء مصحوبة بعود علويه)

عريب مغنية: «عذيرى من الإنسان لا إن جفوته
صفا لى ولا إن صرت طوع يديه
وإنى لمشتاق إلى ظل صاحب
يرق ويصفو إن كدرت عليه»

(يغنى علويه نفس البيتين فيطرب الجميع إلا سلم الخاسر... وفى نشوة يتحدث الخليفة)..

المأمـــون: يا «علويه.. خـذ الخـلافـة وأعطنى مـثل هذا الصاحب»

يحيى بن أكثم: أدام الله مولاى للخلافة، وأدامك لنا ياأمير المؤمنين ... فما دامت لك فهى لكل المسلمين..

المأمون: عمى إبراهيم بن المهدى... قد لا يرى هذا !!

إبراهيم بن المهدى: يا أمير المؤمنين ... هى زلة كنت قد وقعت فيها منذ سنين ...

ولم أنصب نفسى خليفة أثناء غيابك فى خراسان إنما دفعنى إليها آل العباس خوفا من ضياعها منهم... بعد أن أسندت ولاية العهد لعلى بن موسى بن جعفر.. فرأى آل العباس أنها ستخرج منهم... ولقد تبت وأنبت ياأمير المؤمنين ، ورأيت عدلك أكبر من ظلمى، وحلمك أوسع من نزقى.. فما لى أنا والخلافة.. **(مبتسما)** يكفينا الغناء وأهله!!

المأمون: لقد مات - ياعماه - على بن موسى وانقطعت عنه ولاية العهد... وقد كنت أرى أبناء على بها أجدر... هكذا العدل الذى يشمل كل كائن.. و«أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته، ثم على الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى»

ولذا فقد عفوت عنك وقربتك وصنت رحمك وجعلتك من ندمائى..

سلم الخاسر: **(منشداً)** العدل يامأمون زان خلافتك
ونقشت منه ثوبك الفضفاض
ملأ البسيطة والسما أنداؤه
نهرا على كل الخلائق فاض

يحيى بن أكثم: أحسنت والله ياسلم الخاسر... **(ضاحكا)** ومنذ اليوم لا أراك خاسرا!

سلم الخاسر: ما خسر من وسعه كرم الخليفة.

علويه: لقد ربح بمدح مولانا أمير المؤمنين..لكنه خسر لسماع أبيات أبى العتاهية خصمه اللدود!

سلم الخاسر: لعنة الله عليه!!

المأمون: تغتابه ياسلم لأنه قال فيك «تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال » وقد صدق والله أبو العتاهية، «إن الحرص لمفسدة للدين والمروءة والله ما رأيت من رجل قط حرصا ولا شرها ، فرأيت فيه مصطنعا»

سلم الخاسر: هو يامولاى - أعزك الله - كاذب ... «فلقد كنز

الأموال بمثل شعره المفكك الغث هذا، ثم تزهد بعد أن استغنى، ودائما يهتف بى وينسبنى للحرص، وأنا لا أملك إلا ثوبى هذا».

المأمـــون: وأنا أملأ لك جيب ثوبك هذا ذهبا.. بما قلت من شعر... حتى لا تبقى خاسرا!! **(مناديا)** ياغلام.. افعل ما أمرنا به.

(يدخل غلام بصرة، يحشرها فى جيب سلم الخاسر الذى يبدو مذهولا من هذا الثراء الذى حط عليه)..

سلم الخاسر: مولاى... عطاؤك فوق مسألتى، وكرمك كف حاجتى للأبد..

عـــريب: أأنت الخاسر الآن ياخاسر؟!

سلم الخاسر: رحم الله أبا عمر مولى بنى تميم... هو الذى ألصقها بى، حينما أعطانى مصحفا لأحفظ القرآن فبعته واشتريت بثمنه عودا أعزف عليه!!

يحيى بن أكثم: ألم تنفق ثمن المصحف على تعلم الشعر لدى أستاذك بشار بن برد؟!

سلم الخاسر: لقد فعلت.. نصف الثمن للعود، ونصفه لأستاذى

بشار... اشتريت له به نبيذا معتقا!!

إبراهيم بن المهدى: بئس ما فعلت... أو تشترى بثمن المصحف خمرا؟!

سلم الخاسر: فى المصحف كلام الله.. وقد تعلمته وحفظته من المسجد.. لكن المسجد لا يعلمنا شعر بشار!!

علويه: على قدر حبك لبشار تكره أبا العتاهية..

المأمون: دعونا من عداوات الشعراء... إننا فى جلسة منادمة وصفاء.. ندع لحظات ثقل الحكم وهمومه... ونغفل برهة عما يحدث فى بعض الكور والبلدان.

يحيى بن أكثم: هل فى الأمر جديد ياأمير المؤمنين؟

المأمون: فى مصر لا يستطيع والينا عيسى بن منصور الرافقى الإمساك بالحكم، وقد نمى إلى علمنا أن اضطرابا هناك يحدث من قبائل بنى لخم ومعهم القبط.

إبراهيم بن المهدى: لا يشغل مولانا باله بهؤلاء الدهماء.. ولسوف يلجمهم عيسى ابن منصور ..

يحيى بن أكثم: صفاء الذهن يامولاى بالنغم والصوت العذب، لا

ينفى النظر فى أمر من أمورالرعية..

المأمـــــون: سوف ننظر بإمعان وسيعود إلينا رسولنا الذى بعثنا به إلى مصر بكل خبر حول الأمر هناك.. فلنعد إلى عريب وعلويه.. ماذا لديكما الآن؟!

عـــــريب: كل ما يرضى أمير المؤمنين..

عـــلـويــه: تغنى لأخى الخليفة أبى عيسى بن الرشيد رحمه الله..

المأمـــــون: حركت فى نفسى ما لا ينسى ياعلويه... رحم الله أبا عـيـسى..منذ عـام تسـعـة ومـائتين لم أنســه... وهل ينسى الرحم؟!... سـبع سنوات وهـو حى فى الوجــدان ياعلويه.. قل .. قــولى ياعريب.

عـــــريب: **(تغنى)**

«قام بقلبى وقعد

ظبى نفى عنى الجلد

خلفنى مدلها

أهيم فى كل بلد..

أسهرنى ثم رقد..

وما رثى لى من كمد..

ظبى إذا ازددت له..

تذللا تاه وصد..

واعطشا إلى فم..

يمج خمرا من برد».

(بمجرد انتهاء الغناء، ومع بداية همهمات الإعجاب، يندفع الحاجب الذى كان قد قدم الذهب إلى سلم الخاسر).

الحاجب: مولاى أمير المؤمنين.. جاء أحمد بن الأسبط عامل الخراج على مصر رسولا من قبل الوالى بخبر عاجل.. ويستأذن فى المثول أمامكم ..

(المأمون يهب واقفا وحوله يقف الجميع)

المأمون: يبدو أن فى الأمر أمرا.

إظلام

الموقف الثانى

نفس المكان بقصر الخلافة ببغداد.. ويشاهد الوزير الحسن بن سهل وإبراهيم بن المهدى ويحيى بن أكثم وأحمد بن الأسبط عامل الخراج فى مصر ورسول الوالى عيسى بن منصور والأفشين بن حيدر قائد جيش المأمون، والشاعر إبراهيم بن العباس وقد وقف منشدا فى تهنئة الحسن بمصاهرته للمأمون.

ابراهيم بن العباس: «هنتك أكرومة جللت نعمتها
أعلت وليك واجتثت أعاديك
ما كان يحيا بها إلا الإمام وما
كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا»

(وفى بداية لتحول الجلسة إلى الخفة والهرج... يرد إبراهيم بن المهدى)

إبراهيم بن المهدى: تعدوكا .. تعدوكا

(ويبدأ فى النقر على دف بيده)

الجـــمـــيـع: تعدوكا .. تعدوكا

ويبدأ إبراهيم بن المهدى فى الاهتزاز ، ويرقص الشاعر إبراهيم بن العباس على نقراته، ويصفق الحسن بن سـهل، ويخـرج أحـمـد بن الأسـبط زجاجة خمر من عباءته ويعب.. بينما يبدو يحيى بن أكثم متـجهما، ويبدو الأفشين مبـتسما فى رزانة.. وفجأة ينفجر صوت الحاجب.. الذى كان واقفا يلعب بشاربه ويهزه..

الحـــاجب: مولاى أمير المؤمنين .. قادم

(يجلس الجميع مذعورين، ويخبئ أحمد بن الأسبط زجاجة الخمر فى جيبه، ويضع إبراهيم بن المهـــدى الدف تحت الكرسى... ويدخل المأمون فيقف الجميع..لكن المأمون لا يتجه إلى كرسيه.. بل يدور ساهما فى القاعة، يفكر .. ويتوقف أمام الجيب المنتفخ لابن الأسبط ، فينكمش الرجل، ويوجه نظره إلى تحت كرسى إبراهيم بن المهدى... فيفرد أرجله ليخفى الدف... ويستمر المأمون فى حالة التفكير...

وأخيرا ينطق الحسن بن سهل).

الحسن بن سهل: أعز الله مولاى أمير المؤمنين.. الأعباء ثقال والمهام ضخمة.

يحيى بن أكثم: يامولاى لكل عقدة حل... ولكل واقعة رجال..

ابراهيم بن المهدى: ما يحدث فى مصر ياأمير المؤمنين زوبعة سيكتسحها إعصارك.

الأفشين بن حيدر: بنو لخم وبعض الأقباط معهم من قبائل العرب المتمردة.. كثيرو العدد، قليلو الهمة وأنا كفيل بهم ياأمير المؤمنين..

المأمون: أعلم يا أفشين أنك لها.. وأن للمعارك خططا للفوز فيها .. وحسابات دقيقة نحن أدرى بها... وإن كنت لا أعلم سببا لتقلب بعض القبط علينا... فنحن نأخذ بما قدمه لهم أسلافنا كعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص من عهود وماوصانا به رسولنا الكريم بشأنهم.

يحيى بن أكثم: لقد تصالح معهم عمرو بن العاص حيث فتح الله عليه حصن بابليون فى الفسطاط.. على «ألا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يسبون وأن تقر

أموالهم وكنوزهم فى أيديهم»

الحسن بن سهل: هكذا أمره عمر الفاروق خليفة رسول الله... فأكد لهم ابن العاص أنهم «آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم، لايباع أحد منهم»

المأمـــــون: إن حرج موقفنا الآن : ليس إطفاء التمرد وإخضاع الخارجين من القبط والمسلمين.. بل ما أخذناه على أنفسنا من عهود .. كيف نخالفها؟!

أحمد بن الأسبط: حق لنا أن نخالفها يامولاى أمير المؤمنين ، هم خارجون فاسقون مفسدون فى الأرض... ولابد أن يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ..

(ينظر إليه المأمون بإمعان.. فيصمت ابن الأسبط رهبة وينقطع صوته)..

المأمـــــون: مـا يشغلنى الآن هذا الحلم الذى كبس على أنفاسى فى نومة القيلولة.. رأيت ..رأيت..

(تظلم الأضواء إلا على المأمون، وقد جلس وحده على كرسيه وحوله كتاكيت تمرح... وقد زحف تجاهه كائن غريب، جسد رجل ورأس ثعبان ،

ويذهل المأمون ... فلا يفعل شيئا حتى يلتقط الكائن أحد الكتاكيت... وفجأة يظهر خلفه كائن مثله... ثم يلتقط كتكوتا ثانيا، ويظهر كائن ثالث... وهكذا كلما التقط كتكوتا ظهر كائن جديد... والتفت كل الكائنات حوله وبدأت تقرض فى أرجل كرسيه... حينها يسحب سيفه ويقطع رأس أحد الكائنات، فتعود إليه... ويكررها، فتحدث نفس النتيجة... وحينما اتجه بسيفه إلى الكائن الأول الأكبر وقطع رأسه اختفت جميع الكائنات... وعاد الضوء إلى بقية الجلسة والمأمون على كرسيه)..

يحيى بن أكثم: هذا حلم غريب يامولاى.. وليس بعيدا عما يحدث فى الفسطاط ومصر العليا وبلاد البشموريين..

أحمد بن الأسبط: هذا يعنى يامولاى أنه لابد من بترهم جميعا، وتدمير دورهم وإحراق بيوتهم أمام أعينهم..

الأفشين بن حيدر: إذا أطلقنى فيهم الخليفة انطلقت، ولا أبقى منهم أحدا بعون الله.

(المأمون يلتفت إلى الشاعر إبراهيم بن العباس

متحدثا)

المأمـــون: نحن الآن إذن نتـحـدث فى شـأن من شـئـون الدولة.. أليس كذلك يا ابن العباس..

ابراهيم ابن العباس: هو كـذلك يا أمـير المؤمنين ... فلتسـمـحـوا لى بالانصراف.

(ينصرف الشاعر ، ولم ينته بعد من تفاحة قد قضمها)..

المأمـــون: خذها ... خذها يا إبراهيم ... وخذ معها هذه الدنانير.

(ويرمى إليه بصرة يلقفها الشاعر .. ويخرج).

يحيى بن أكثم: يامـولاى .. يميل الأفـشين إلى القـوة لأنه قـائد جيشك وهذا دوره.. فلماذا يدعو ابن الأسبط إلى هذا العنف... وهو عـامل الخراج بمصـر، وليس رب السيف والحرب؟! إن للسياسة سحرا وللعقل قوة.. فلنجربهما أولا..

ابن الأسـبط: هؤلاء الناس انتـفـضـوا بدون سـبب، وخـربوا الديار، وقاوموا السلطان، وخرجوا عن الشرع، ونقضوا العهود... فلماذا نرحمهم ولم يرحموا

أنفسهم؟!

الحسن بن سهل: إذا شئنا أن نقمعهم بالسيف.. فعلينا أن نعرف مدى قوتهم ، ومكمن ضعفهم.

المأمـــــون: عليك أن تعـرض يا ابن الأسـبط ملخـصـا لما عرضت عليَّ بشأن هؤلاء الخارجين..

ابن الأسـبط: فى جمادى الأولى انتفض الغوغاء والحرافيش والرعاع من الأقباط والعرب من قبائل لخم فى الوجه البحرى، ورفعوا راية العصيان ضد الوالى عيسى بن منصور الرافقى، وطردوا عماله وجردوهم من أموالهم وخربوا بيوتهم.

ابراهيم بن المهدى: وماذا فعلتم أنتم؟!

ابن الأسـبط: لم نخنع لهذا التجرؤ علينا فخرج عيسى بن منصور إليهم وأنا برفقته حتى نجمع منهم ما امتنعوا عن دفعه من خراج بعد أن نهزمهم.

يحيى بن أكثم: يشغلك الخراج حتى فى وقت الحرب!!

ابن الأسـبط: هذا حق الله والخليفة وبيت المال.

الحسن بن سهل: أكمل.. ماذا بعد؟!

ابن الأسـبط: لقد أبلينا بلاء حسنا فى مواجهتهم..

ابراهيم بن المهدى: أبليـتم بلاء حسنا؟! كـأنك تتـحدث عن جـيوش الروم قاطبة!!

ابن الأسـبط: لم نقصـر فى شىء من العدة والعتـاد... لكن تكاتل علينا هؤلاء الأوغاد ودفعونا أمامهم!!

يحيى بن أكثم: قل: هربنا أمامهم!!

ابن الأسـبط: وعدنا مع الوالى إلى الفسطاط، وتحصنا بهـا ، فاشتدوا علينا أكثر فأكثر!! وقد تمكنت من الخروج إلى بغداد وتركت عيسى بن منصـور محاصرا بالفسطاط!!

الأفـــشين: ياللعـار.. الوالى ينهـزم أمـام هـؤلاء الغـوغـاء، ويهرب ويحاصر فى عاصمته... أى وال هذا وأى رجل؟!

يحيى بن أكثم: ياأمير المؤمنين ... هذه اندفاعة من لا يخاف... ولا يتـجرأ على الأمـر هكذا إلا صـاحب حق... فلننظر ما وراء ثورتهم!!

المـأمـــون: أتعطيهم الحق يايحيى فى الانتقاص من هيبتنا والخروج علينا؟!

يحيى بن أكثم: معـاذ الله ياأميـر المؤمنين أن أقصـد هذا.. إنما

دوافع هؤلاء ليست الانتقاص ولا الانقضاض على السلطة. هناك شيء ما يدفعهم للتمرد بقوة وبلا خوف.

ابن الأسبط: هو الطمع والجشع والرغبة فى عدم دفع حقوق الخلافة للخلافة.. إنهم يكنزون الذهب والفضة، ويفيض عليهم النيل بكل خير... فلا يحمدون ... ولا يدفعون ما عليهم لنا...

الحسن بن سهل: لو أن لهم مظلمة... فلم لم يرفعوها إلينا وإلى أمير المؤمنين ؟!... كانوا سينصفون..

ابراهيم بن المهدى: لقد تجاوز الأمر الآن حد الكلام... إن الوالى محاصر...

الأفشين: وأنا سأفك حصاره وأؤدب هؤلاء الخارجين..

يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين ... فلنجرب كل حيلة لإعادتهم إلى الطاعة قبل الفتك بهم..

الحاجب: مولاى أمير المؤمنين ... لقد حمل لنا عامل البريد الآن خبر وقوع رسول أمير المؤمنين ، فى أيدى البشموريين... وفتكهم به والتمثيل بجثته..

(فى ثورة يقف المأمون)..

المأمـــــون: أية حيلة بعد هذا نجربها معهم يايحيى ... لقد تجرأوا علينا .. ياأفشين عليك أن تمر ببرقة أولا وتحشد معك الجند من العراق وبرقة... ثم ادخل إلى الفسطاط... وغل يد الوالى عن السلطة... واهجم على هؤلاء الخارجين..

إظلام

الموقف الثالث

فى خمارة ببغداد يجلس الناس على موائد واطئة يحتسون الخمور، وتقف بعض الجوارى والراقصات فى حالات من الرقص الماجن مع موسيقى الصاجات والدفوف... وعلى إحدى الموائد يجلس أحمد بن الأسبط وسلم الخاسر وحاييم بن عطا اليهودى وسارة بنت يهوذا وسما بنت داود اليهوديتان.

يفتح الستار على دخول أحد العسس - جنود الشرطة - إلى الخمارة فى كامل هيئته العسكرية وهو يصرخ..

الجـــنـــدى: أيها السكارى الفاسقون الماجنون.. خمر؟!

(يمد يده إلى إحدى زجاجات الخمر ويعب)..

... أعوذ بالله!! **(ويعب)** .. استغفر الله **(ويعب)** ..إنه لمنكر

(يرمى الزجاجة بعد أن تفرغ !! ويتجه إلى

راقصة فى ملابس خليعة)

الجـــنـــدى: رقص؟! وعرى؟!

(يقترب منها ويتلمسها وهى تتلوى... حتى يحضنها)

الجـــنـــدى: عرى ورقص ..ورقص وعرى؟! حقا إنها نعمة، لكنها نعمة عارية كالطعام الملوث..

(يحاول أن يخلع عنها بعض ملابسها المكشوفة)..

الجـــنـــدى: طعام ملوث .. ينبغى أن يزال عنه التلوث!!

(الراقصة تدفعه فى تدلل ، فيقع فوق المائدة التى يجلس عليها ابن الأسبط ورفاقه.. فيخطف ما أمامهم من لحوم وفاكهة ... ثم يستولى على أحد الدفوف... ويضرب عليها)

الجـــنـــدى: فاسقون .. كافرون.. فاسقون.. كافرون

(يصفق له من بالمائدة، ويرقص مع النقرات... وفجأة يرمى الدف ويسحب سيفه)..

الجـــنـــدى: أنتم خارجون على الشريعة والسلطان... بغداد عاصمة الخلافة... تسكروورون... تعربدودودون... أمامى جميعا إلى المخفر أيها

الفسقة.

(يحاول حاييم بن عطا أن يهدئه.. فيقدم إليه كأسا من الخمر، يأخذها الجندى بعنف ويعبها ويرميها بينما السيف مازال مشهرا بيده اليمنى)..

الجندى: حتى خمركم مغشوشة ... أيها الغشاشون... أمامى إلى المخفر.

(يتدخل أحمد بن الأسبط).

ابن الأسبط: اجلس أنت ياحاييم ... لو عرف أنك.. أنك.. لزادت ثورته.. **(يلتفت للجندى)**.. أيها الشرطى المغوار .. لسنا سكارى معربدين... بل عابرو سبيل... وجئنا نستريح برهة حتى نستأنف رحلتنا إلى الفسطاط

الجندى: هذه الوجوه لا توحى بالراحة.. كلكم يقول هذا ... هيا .. هيا لا تجادل .. إلى المخفر..

ابن الأسبط: نحن تجار ونخشى على أموالنا السرقة، فرأينا أن نقيم الليل هنا... خذ .. خذ .. هذه الدراهم..

الجـــنـــدى: دراهم ؟! كم؟!

ابن الأسـبط: عشرة... عشرة دراهم كاملة..

الجـــنـــدى: لست مـتـسـولا ياهذا... إنى لا أرتاح لوجـهك أبدا.. هيا ... هيا أمامى.

سارة بنت يهوذا: أعطه عشرين .. عشرين درهما.. ياابن الأسبط.

ابن الأسـبط: مـالك أنت ياسـارة وهذا الأمـر؟! هو حـديث رجل لرجل.

الجـــنـــدى: وأنا أريده حـديث أنثى لرجل.. وجـهك... وجـهك غـيـر مـريح.. هيـا أنت... ولتـبـقى أنت... أو تعالى... تعالى إلى حضنى.

(يهب سلم الخاسر... وينتزعها منه ويوشك أن يفتك به)..

الجـــنـــدى: لخـاسـر إذن سـآخـذك أنت إلى المخـفـر... ياعربيد... أما هذه وهذه **(مشيرا إلى سما بنت داود)** .. فمكانهما هنا ـ صدرى ـ حيث الدفء.

سلم الخـاسـر: مارأيت شرطيا بهذه البجاحة..

حـاييم بن عطا: كلهم هكذا.. أمام النساء... والدنانير..

ابن الأسـبط: أندع له سارة بنت يهوذا وسما بنت داود مقابل

تركنا؟!

حايم بن عطا: بل نترك له هذه ... هذه الدنانير.. خذ

الجندى: كم دينارا أيها الخبيث؟!

حايم: خمسة دنانير..

الجندى: كأنك تقطعها من جسدك.. **ألم تقولوا إنكم** تجار.. ادفعوا إذن..

(يتقدم رجل فى زى رث منكوش الشعر... ويقول:)

الرجل: أيها التجار... لابد كل ليلة من ضحية **لهذا** الشرطى... أعطوه كل هذه الصرة **خيرا لكم!**

سلم الخاسر: **(ثائرا)** أظنك عيارا وتتقاسم معه **الأسلاب** .. اغرب عنا..

الرجل: نعم أنا أبو الدود العيار... **لكنى لا أتقاسم معه** شيئا... اسألوا كل رواد الخمارة **ستعرفون..ألا** تشترون راحتكم بصرة دنانير..

ابن الأسبط: أتدرى كم تكون؟! إنها ... **إنها مائة دينار.**

ابو الدود العيار: ولتكن ألفا ..أنتم **أخذتموها من غيركم...** لتدفعوها لغيركم..

حــــــاييم: عليك اللعنة أيها العيار... أترانا أثرياء وهو فقير، حتى تأخذ منا لتعطيه.

ابو الدود العيار: أنتم أثرياء - كما يبدو لى - لكنه ليس فقيرا.. وقد سكر، وركب رأسه ولن يدع الخمارة وهناءة هذه الليلة إلا إذا صرفتموه عنا... أما أنا فلا أريد منه ولا منكم شيئا غير هذه التفاحة **(يلتهمها)** !!

حــــــاييم: لا بالهناء ولا بالشفاء.

ابـو الـدود: أعطوه الصرة على مسئوليتى.

سما بنت داود: مسئوليتك.. ألك مسئولية؟!

أبـو الـدود: لا تسخرى منى... نعم لى مسئولية وسوف تدركونها.. أعطوه لينصرف

ابن الأسـبط: أف لكما.. خذ .. خذ أيها الشرطى

(يقذف الصرة إلى آخر الخمارة تجاه الباب فيجرى وراءها الجندى، ويسير خلفهاالعيار..ويختفيان)..

سلم الخاسـر: ضاع ثلث الليلة، وطارت كئوس الخمر من رءوسنا .. لقد تمنيت أن أكسر رأسه.

حــــــاييم: ياك من متهور .. حينها سينكشف كل أمرنا...

وسيعلم المأمون بوجودى هنا أنا وسارة وسما...

أتعلم حينها ما كان يحدث؟

ابن الأسبط: لا شيء .. ستهربون ..وأقع أنا فى قبضة المأمون... ويضيع كل تدبيرنا..

حاييم: مادمنا نتحدث عن هذا التدبير.. هل أقنعت الخليفة بقتال البشموريين.

ابن الأسبط: حاولت... ولكن يحيى بن أكثم يقف حجر عثرة فى طريق تجييش الجيوش لمواجهة بعض القبط والعرب الثائرين..

سلم الخاسر: يبدو أن حجتك ضعيفة أمام بلاغة يحيى بن أكثم..

سما بنت داود: ألم يصل إلى المأمون خبر مقتل رسوله؟!

ابن الأسبط: لقد علم به..

سارة بنت داود: ألم تلتصق التهمة بالبشموريين؟!

ابن الأسبط: نعم التصقت..وقد ثار المأمون..وأظنه سيهجم على البشموريين بجيوش الأفشين التى سيجمعها معه من هنا ومن برقة، إذا لم يجد ما يمنعه من الهجوم .

حـــــاييم: جيوش .. جيوش من بغداد وبرقة..إذن سينحسم الأمر سريعا لصالح المأمون.

سمـا بنت داود: وهل ندعـــه ينحـــسم؟! علينا أن ننقل إلى البشموريين خطط الأفشين ، فيزداد القتل بين الجانبين.

سارة بنت يهوذا: ملعبنا الآن لم يعد فى بغداد... بل هناك فى أرض المعركة..

سلم الخـاسـر: أتسافرون غدا؟!

حـــــاييم: نعم.

سلم الخـاسـر: أين جـائزتى إذن؟ هل أنقل لكم مـا يحـدث فى قصر الخلافة هكذا مجانا؟!

حـــــاييم: ليس كذلك يا خـاسـر.. إن لك ثأرا قديما لدى العـرب... أنت تخلصـه الآن!! أنسـيت أنهم اقتحموا عليكم بلادكم - بلاد أجدادك - فى فارس وخراسان والديلم وقادوا أجدادك أسرى عبيدا؟

سلم الخـاسـر: آه .. لا تذكرنى.. لكن.. لكن جـائزة مـثل سـارة وسـما لمدة ليلتين سـتكون مـشـجـعـة على العمل بجد.

ابن الأسـبط: ليلتين .. اثنتين.. يامفترى؟!

سلم الخاسر: وجزءًا مما نهبت أنت من أموال الخراج... لنقل ألف دينار!!

ابن الأسـبط: ألف دينار.. ألف دينار؟!

سلم الخاسر: مجرد بداية!!

حـــــاييـم: لا تكن طماعا.. إنه لم يسرق من أموال الخراج هذا العام غير خمسمائة ألف دينار فقط!!

ابن الأسـبط: لم أسرق أيها اليهودى الخبيث .

حـــــاييـم: أتراك اقترضتها إذن من القبط؟! إنها محصلة عدا ونقدا فى يدى، ومسجلة فى دفاترى... ولم يتمكن أى من التجار أو أصحاب المهن والحرف من الهروب منى... وكله يصب لديك.

ابن الأسـبط: كأنك أنت لم تسرقنى بدورك أيها الخبيث... أما من ناحيتى فلا أراها سرقة... لقد رفعت ما فرضه الوالى عيسى بن منصور من خراج على كل رأس بمقدار عدة دنانير ... وسلمت بيت المال كل حقه... فما السرقة إذن ؟!

سلم الخاسر: كـأنك تحكم الناس من وراء سـتـار... وتسلب

أموالهم... فلا تبخل إذن.. هات... هات الدنانير الألف... أما سارة وسما.. فنستمتع معا بهما الآن راقصتين ... قبل أن أدخل بهما!!

(تقف المرأتان فى وصلة من الرقص المثير، مع نهايتها يفاجأ الجالسون بدخول العيار، ويرمى الصرة التى أخذها الجندى فى حجر ابن الأسبط).

العيار: هاهى ذى أموالك... لقد سرقتها من الشرطى اللص لأعيدها إلى لص آخر!!

إظلام

الموقف الرابع

يرفع الستار عن قاعة فخمة فى مقر الولاية بالفسطاط، وقد بدا الوالى عيسى بن منصور الرافقى شديد الحنق والتوتر، يتحرك بانفعال فى القاعة، وقد أمسك سيفه يضربه بالحائط ويبصق فوقه..

الــــوالــــى: سيف ردىء حقير، خذلتنى أمام القبط، كيف لم تسعفنى أيها الجبان؟! لم لم تجتث الرؤوس من فوق الأعناق ، وقد حان وقت قطافها؟! لم لم تبقر البطون، وتفقأ العيون، وتمزق الخارجين على السلطان والشرع إربا إربا.. لم.. لم ..؟!

(تتسلل سارة بنت يهوذا وسما بنت داود إلى القاعة وتندهشان لما يفعل الوالى... ثم تتحدثان فى دل).

ســـــــــارة: مولاى عيسى بن منصور العظيم.. إلى من تتحدث؟!

ســـــمـــــا: وما الذى يدفع مولاى إلى كل هذه الثورة؟

الــــوالــــى: إنه ..إنه هذا اللعين

سما وسارة معا: لانرى أحدا يامولاى!!

الــــوالــــى: هاهو ذا.. هذا السيف الضعيف الخائر... فى أثناء المعركة مع البشموريين ومن ناصرهم من العرب فى تنو وتمى والحوف وكورة الغربية.. لم أجد فى يدى سيفا بل حديدة صدئة... بل خشبة لدنة... عليك اللعنة أيها السيف المزيف..

(يرمى السيف من يده، ويبصق عليه، ويطأه بقدمه).

ســـــــارة: خفف عنك يامولاى.. هذه اليد الناعمة خلقت للتقبيل **(تقبل يده)** وهذه العيون السوداء ليس لها أن تتغير بنقع المعارك .. بل لها أن ترانى فقط هكذا.

(تتلوى سارة فى دل وإثارة)

الــــوالــــى: أف لها هذه المعارك... إذا انتصرنا فالنصر للخليفة، وإذا انهزمنا فالهزيمة لنا وحدنا... فماذا أنا قائل والمأمون الآن فى طريقه إلىَّ وقد

وصل الفسطاط فعلا؟!

ســــمـــــا: الحكم نصر وهزيمة يامولاى... وأنت لم تقصر في واجباتك تجاه رعيتك..

(تشير إلى نفسها بإغراء) .

ســــمـــــا: ورعيتك تحبك جدا وتريد أن تمتعك وتسرى عنك..

ســـــــارة: نعم يامولاى... الآن غناء ورقص، وغدا كر وفر...

الــــوالــــى: ولكن ... ولكن..

ســـــــارة: ليس هناك لكن... ألا تحب غناءنا ورقصنا؟

الــــوالــــى: ومن لا يحب حوريات الجنة؟! إن الحياة بدونكما لا طعم لها إلا المرارة.. أنتما متعتى.. ومحل سرى كذلك... غنيا ... ارقصا..

ســــمـــــا: كيف يامولاى... كيف نغنى ونرقص.. ولما تمسك الدف؟! خذه خذه..

(تقدم إليه الدف ويبدأ فى النقر عليه، مع اهتزازات سما ورقصها المثير وغناء سارة)

سـارة تغنى: أعطنى من فيك تقبيلا ولمسا..

يا صفى القلب يا أحلى الرجال

صاغنى الرحمن وجدانا وحسا

من ضياء الوجد من وهج الجمال

كل كنز من كنوزى لك أنت

فارو عطشى تبتغى منك النوال

(مع مواصلة الغناء والرقص والطبل، يسمع وقع أقدام كثيرة قادمة... فيتوقفون فجأة فى خوف واضطراب) .

الـــوالـــى: إنه الخليفة.. اختفيا .. هنا .. هنا وراء هذه الستارة.

(تختفى المرأتان وراء ستارة شفافة تظهران منها للمشاهدين بالمسرح.. ثم يمسك الوالى بسيفه ويشهره فى الهواء ويبارز به الفضاء... ويدخل المأمون ، وهو على هذه الحالة، وبرفقته أحمد بن الأسبط وأنبا ديونوسيوس بطرك أنطاكية ويحيى بن أكثم .. فيتجمد عيسى بن منصور فى وقفته شاهرا سيفه.. ويبادر يحيى بن أكثم إليه).

يحيى بن أكثم: مالك أيها الوالى.. لم لم تخفض سيفك أمام أمير

المؤمنين؟!

(يسقط السيف على الأرض من يد الوالى)

المأمــــون: لا يستطيع أن يشهره فى المعارك، فيشهره فى الحجرات المغلقة... عجز عن محاربة الخارجين من القبط والعرب ، فيحارب الهواء.

(يتـقـدم المأمـون إلى كـرسى فى الصـدارة فـيجلس... ثم ينظر إلى الأنبـا ديونوسـيـوس بطرك أنطاكية ويقول:)

المأمــــون: تفـــضل بـالجلوس أيهـــا البطرك الجليل ديونوسـيـوس... لقـد أثقلنا عليك بـاصطحـابك معنا، فتركت رعايا كنيستك فى أنطاكية..

الأنبا ديونوسيوس: مولاى أمير المؤمنين دعانا لواجب فلبينا عن طيب خاطر..

(يجلس البطرك، بينما ينظر المأمون إلى الآخرين)

المأمــــون: تفضلوا بالجلوس

(يجلسون بينما يبقى الوالى متصلبا فى وقفته .. ينظر إليه المأمون..)

الــوالـــى: أ.. أ... أجلس يامولاى أنا أيضا؟!

المأمـــــون: اجلس... ولك حساب آخر... وستبقى بدون حل ولا عقد فى ولايتك حتى نحسم أمرك... وقد بلغك الأفشين أمرنا هذا...

يحيى بن أكثم: هل حسم الأفشين المعركة يامولاى؟

المأمـــــون: وقائع كثيرة حسمها... وسوف يحدثنا بشأنها اليوم بمجرد وصوله.. لكن هناك مواقع أخرى مستعصية عليه..

أحمد بن الأسبط: إنها المنطقة الشمالية المحاطة بالمياه ففى غربها وشرقها مياه النيل، وفى شمالها البحر الكبير المالح... وهى منطقة رخوة دائما، وكثيرة المستنقعات ، ويصعب معرفة دروبها إلا لأهلها من البشموريين، هؤلاء الكفرة الفجرة..

يحيى بن أكثم: مالك يا ابن الأسبط... تخلط الأمور.. إنهم كتابيون وأتباع المسيح.. وليسوا كافرين وإن كانوا فجرة خارجين.

الـــوالـــى: ومعهم كذلك بنو لخم ومن والاهم من قبائل العرب الذين يقودهم أبو ثور اللخمى وبحر بن على اللخمى وابن عقاب اللخمى.. ويتزعمهم

معاوية بن عبد الواحد بن محمد.

الأنبا ديونوسيوس: إنهم فئة خرجت عن حظيرة الكنيسة، كما خرج المسلمون عن طاعة الخليفة... فنحن نعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر

أحمد بن الأسبط: هم لا يعطون شيئا لأحد، وامتنعوا عن دفع الخراج والجزية وطردوا رسلنا إليهم، بل وتجرأوا أخيرا وقتلوا رسول أمير المؤمنين فى أثناء عودته من الفسطاط.

الوالى: هم طغاة جبابرة، وكانوا يخرجون علينا فى حربهم من حيث لا ندرى..

يحيى بن أكثم: كانت الحكمة تدعوك لاحتوائهم قبل أن يخرجوا عليك، ويستفحل أمرهم..

ابن الأسبط: حاولنا بكل الوسائل يامولاى أن نحسن إليهم، وأن نخفف أعباءهم ونترفق بهم، فاستضعفونا وتجرأوا علينا ، لأننا من غير دينهم.

الأنبا ديونوسيوس: لا أظن الأمر كذلك ياأمير المؤمنين... إنهم لا يحاربون الإسلام، بل ربما دفعوا إلى العصيان لأسباب أخرى... وفى طبيعتهم التمرد والخروج

حتى على غيركم... فى هذه المنطقة التى كانت تسمى قديما بوكوليا... وقع تمرد كبير ضد الإمبراطور الرومانى ماركوس أورليوس الذى تولى العرش من عام واحد وستين ومائة حتى ثمانين ومائة من ميلاد السيد المسيح... وكانت حربا كبيرة لم تخمد إلا بإزهاق أرواح كثيرة.

يحيي بن أكثم: إذا كانوا يحاربون الإسلام... فماذا تقول يا ابن الأسبط عن المسلمين أنفسهم الذين يحاربون معهم ضدنا؟!

الأنبا ديونوسيوس: لأجل هذا يامولاى صحبتكم لأتحدث إليهم، وأدفعهم إلى الحظيرة ... وقد علمت أن الأنبا يوساب بابا الإسكندرية فى الطريق إليكم الآن... للترحيب بأمير المؤمنين والتحدث إليه.

المأمون: سنسعد ببطرك القبط... فليأت على الرحب والسعة.

(يسمع صهيل خيول فى الخارج، ثم وقع أقدام ثقيلة... ويدخل الأفشين مبتهجا)

الأفشين: مولاى أمير المؤمنين ... نحمد الله على

سلامتكم..

المأمـــون: شكرا ياأفشين... أنت سيف من سيوف الحق... ماذا عندك الآن.

الأفـــشين: خـير يامـولاى .. الوقـائع شـديدة... وحشـود الخارجين كبيرة... لكن سيوف الحق قد فلت جمعهم فى تنو وتمى، بعد أن اجتمعوا بمنطقة إشليم بقيادة ابن عبيدوس الفهرى فهزمناهم وفر إلى طما... وفى الحوف تصدى لنا جماعة منهم وقد حملوا علينا بالسيوف والحراب والخناجر وحتى الأوانى الفخارية كانوا يقذفوننا بها..

ابن الأسبط: هل انهزمتم أمامهم؟!

الأفـــشين: فلتلزم الصمت ياابن الأسبط!!

المأمـــون: استطرد ياأفشين..

الأفـــشين: فل الله جمعهم، وشتتهم ، فهلك من هلك من القبط واللخميين ، وهرب من هرب، وأسرنا منهم خلقا كثيرا... أما الغربية فقد أرسلت إليها أحد قوادى: عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيبانى، فعجز عنها ، وتراجع أمام ابن مدلج إلى

الإسكندرية وحصروه هناك... وكنت حينها أقاتل فى اللخمى وقتلته مع نائب له من القبط، وفى ذى القعدة من العام الماضى فتحنا دميرة على شاطئ النيل قرب دمياط... وواصلت الزحف إلى الإسكندرية لأصل إلى عبد الله بن يزيد الشيبانى، وفى مواجهته خلق كثير يقودهم معاوية بن عبد الواحد بن محمد ابن عبد الرحمن بن معاوية ومعه بحر بن على اللخمى وابن عقاب اللخمى ونساء ورجال من القبط.. وقد مكننا الله من أعناق بعضهم وفر آخرون...

المأمون: مالك تصمت؟!

الأفشين: المعركة الكبرى لم يحن وقتها بعد..

يحيى بن أكثم: أتراها أرض البشموريين؟

الأفشين: نعم هى... وما أدراك ما هى... ما هى باليابسة ولا الماء ولا الجدب ولا الزرع.. أرض تغوص فيها أقدام الخيول، وتتوه فى دروبها حتى الشياطين!!

المأمون: أهم كثر ياعيسى؟

الـــوالـــى: كثر... كثير يامولاى... وقد أمروا عليهم أمراء، ونظموا جيشا من الرجال والنساء والصبية.

المأمـــــون: وأين هم من قوتك يأفشين؟!

الأفـــشين: الأفشين سيف الله فى أيديكم دائما يامولاى.

يحيى بن أكثم: القتل هناك سيكون كثيرا والخراب لا يحصى.

الأنبا ديونوسيوس: فلنلجأ إلى العقل أولا ياأمير المؤمنين ... لعلهم يرجعون عن الغى والفساد.

المأمـــــون: لقد دبرت أمرى وخطتى للقضاء عليهم.

ابن الأسـبط: هذا خير ياأمير المؤمنين ... فلنهجم عليهم فى أسرع وقت!

يحيى بن أكثم: لا تقل: فلنهجم.. بل قل فليهجم الأفشين وجيش أمـيـر المؤمنين ... أمـا أنت وهذا الرافـقى، فهجومكما دائما على الفراغ وذرات الغبار!!

ابن الأسـبط: هذا أمر أمير المؤمنين.

الأنبا ديونوسيوس: أمـير المؤمنين لم يأمـر... بل قـال إنه دبر أمـره وخطته..

المأمـــــون: وسوف أعرضها عليكم..

يحيى بن أكثم: وقد تنفع الحيلة والحوار أولا ياأمير المؤمنين.

المأمـــون: سوف نفعل قبل الهجوم عليهم.. وإليكم الآن خطتى فى مواجهتهم .

(يتحلق الجميع حول كرسى المأمون، تاركين كراسيهم ليستمعوا لخطة الهجوم المؤجل.. وحينها تتحرك المرأتان خلف الستار).

إظلام

الموقف الخامس

فى صحن أحد المساجد بالفسطاط يجلس أحمد بن الأسبط وحاييم بن عطا، وقد خلا المسجد من المصلين... بينما يحل القلق على ملامح الرجلين..

حاييم: لقد تأخرت سارة وسما كثيرا... أترى أحدا قد كشف أمرهما، ووقعتا فى يد العسس ومعهما رسالة سلم الخاسر؟!

ابن الأسبط: منذ صلاة العصر ننتظر، وقد اقترب أذان المغرب وسوف يزدحم المسجد بالمصلين.. ترى ياحاييم ماذا عساها تحمل رسالة سلم الخاسر من بغداد؟!

حاييم: ما كلفناه به قبل أن نغادر بغداد هو معرفة ما يفعل الحسن ابن سهل وزير المأمون بشأن إمداد جيش الخليفة فى مصر بالجنود والمؤن... ومحاولة تعطيلها بقدر المستطاع.

ابن الأسبط: لا أظنه سينجح كل النجاح فى هذا الشأن .. فماذا يملك هو؟!

حـــايـيم: يملك الكثير والكثير: عددا من جوارى الخليفة.. وعدة أكياس من الدنانير منحة لمن يرى من جنود الجيش..

ابن الأسبط: أهو مخلص لنا فى تنفيذ ما وكلنا إليه؟!

حـــايـيم: إذا كنت أنت مخلصا لهدفنا، وأنت العربى ابن العربى والمسلم ابن المسلم... أفلا يخلص هو فى سعينا لتخريب خلافة بنى العباس من الداخل؟!

ابن الأسبط: أنا لا أسعى للتخريب من أجل التخريب.. بل أرى أن الخلافة حق للعلويين.. وقد جار عليهم بنو العباس، ونازعوهم حقهم... ألا تتذكر كيف ثار هؤلاء العباسيون على المأمون حينما عاد إلى الحق ، وأسند ولاية العهد لعلى بن موسى بن جعفر؟!

حـــايـيم: أتذكر.. لقد حاولوا انتزاع الخلافة منه وهو مقيم بخراسان، وأسندوها...لمن؟! لمغن هو إبراهيم بن

المهدى عم المأمون!!

ابن الأسـبط: هكذا آل أمر الخلافة إلى مـغن حتى تمنـع عمن يستحقها .

حــــاييم: القدر... القدر تواطأ مع هؤلاء العباسيين فمات على بن موسى بن جعفر.

ابن الأسـبط: بل وضعوا له السم فى الطعام... أفبعد هذا أخلص لهم: هؤلاء القتلة الفجرة؟!

(يدخل فارسان ملثمان، ضمن أفراد يدخلون إلى المسجد .. ويختار الملثمان الجلوس إلى جانب ابن الأسبط وحاييم، فينظر الرجلان لبعضهما فى ارتياب).

حــــاييم: آن لنا أن نرحل الآن... المغــــرب على وشك الأذان.. فكيف أبقى أنا بين المصلين.

ابن الأسـبط: إننا قد نرحل لا من المسجد فقط، بل من الدنيا.. إذا كانت سارة وسما قد وقعتا..

(يهم الرجلان بالوقوف.. فتمتد يدا الملثمين تستبقيانهما مما يصيبهما بالانزعاج الشديد.. فيهمسان معا..)

ابن الاسبط وحاييم: انكشفنا ..إنهما العسس!!

أحد الملثمين: اجلس يا حاييم... اجلس ياابن الأسبط

الملثم الآخـر: رسالة سلم الخاسر معنا.. أفهمتما ؟!

(يندهش الرجلان بعد أن تبين لهما أن الملثمين هما سارة وسما، ولايبدو على مظهرهما أنهما امـرأتان أبدا... ويصـعـد المؤذن لرفع أذان المغرب.. فيهمس حاييم لرفاقه:)

حـــاييم: اطمـأن الخـاطر الآن ياسـارة.. لكن علينا أن نرحل فورا... الناس سيصلون..

ابن الأسـبط: يا غـــبي.. إلام ترحلون؟! بعـــد الأذان لا تستطيعون.

ســـــارة: ماذا نفعل إذن؟!

ســمـــا: نذهب إلى حمام المسجد ونبقى هناك إلى نهاية الصلاة!!

ابن الأسـبط: بل .. بل تصلون مثلنا!!

ســـــارة: أجننت ؟! أنسيت أننا يهود؟!

ابن الأسـبط: بهذه الصلاة.. لن تسلموا!!

(يصطف الناس مع إقامة الصلاة، ومع التكبيرة

الأولى تخفت الأضواء، ثم تضاء على ختم الصلاة، ويبدأ المصلون فى الانسلات من المسجد، مع بقاء المتآمرين الأربعة الذين يتهامسون)

حـــــايم: ماذا لديك ياسارة.. أيتها الزعيمة الجميلة؟!

ابن الأسبط: هل زعَّمتموها ؟!

حـــــايم: وما المانع... إنها تفعل ما لا يفعل الرجال..

ســـــارة: أول بنود رسالة سلم الخاسر من بغداد هى طلب أموال أخرى... لأنه - كما ذكر - أنفق خمسمائة دينار على بعض قادة الجنود المكلفين بالسفر إلى الفسطاط... دعاهم إلى خمارة بغداد، واستأجر لهم بعض الجوارى الشقراوات والزنجيات!!

ابن الأسبط: لعنة الله على هذا الخاسر!!

حـــــايم: وماذا أنجز مقابل هذا؟!

ســـمـــا: قال إن الحسن بن سهل وزير المأمون منغمس فى الملذات، وقد صرفته بعض الجوارى عن تدبير أمور الحكم فى غياب المأمون.. ويلتف

حوله الشعراء كل ليلة يمدحونه، ويمدحون أباه وأجداده، ويقدمونهم على العرب، بل وعلى القرشيين، وهو بهم طرب نشوان!!

حـــاييم: هذا ما نريد..

ابن الأسبط: أهو يكفى؟! عليك أنت إذن أن تمده بما يحتاج من مال!!

حـــاييم: المال شأنك أنت... أما أنا وسارة وسما فشأننا التفكير والتدبير..

ســـارة: ادفع.. ادفع ... يا ابن الأسبط... من أموال الناس... لا من جيبك.

ابن الأسبط: وكيف سننقل الآن خطة هجوم جيش المأمون إلى ابن صموئيل بطرس ومعاوية بن عبد الواحد قائدى الثورة؟

ســـارة: ستحملها سما إلى هناك غدا.

ابن الأسبط: وحدها؟

ســـارة: ستسافر مع بعض التجار اليهود الذين يتحركون بحرية فليس لهم ناقة ولا جمل فى هذه المعركة..

حـــاييم: هل تلمين يا سما بكل تفاصيل الخطة؟!

ســـــمـــــا: لقد سمعتها من فم المأمون مباشرة... ولن أنساها.

ابن الأسبط: عليك أن تؤكدى على تضليل جيش المأمون حينما يستعين بأدلة من أبناء المنطقة ليقودوه إلى دروب البشموريين.

ســـــمـــــا: سأنقل لهم كل التفاصيل وعليهم أن يتصرفوا بناء عليها.

(مع نهاية حديث الأربعة يبدو طفلان فى العاشرة يلعبان داخل المسجد، قريبا من بابه... ويهم الأربعة بالانصراف، فيصطدم طفل منهما بسارة ويقع على الأرض، جاذبا ملابسها ولثامها، فينكشف شعرها، ويصرخ الطفل).

الــطــفــل: امرأة.. امرأة.. فى المسجد مع الرجال ..أدركونى... أدركونى.

(ويتشبث الطفل بها بينما يقف الثانى مذهولا، ومختبئا خلف عمود... وتسحب سارة سيفها من غمده لتطعن الطفل فيسقط على أرض المسجد وتفر هاربة مع رفاقها... بينما يتردد حاييم فى

الهروب بعد أن يجد المكان خاليا، فيعود ويسحب صرة مملوءة بالرماد من جيبه، ويضعها فى جرح الطفل النازف، ثم يضغط عليه أكثر ليسيل الدم... ويعود إليه ابن الأسبط يشده من ذراعه).

ابن الأسبط: ماذا تفعل أيها المجنون... أتنتظر حتى يقبض علينا؟! أم تلوث يدك بالدم ليتأكدوا من جريمتنا؟!

حاييم: هذا دم طفل مسلم ... نعجنه فى كعك عيد الفصح القادم!!

إظلام

الموقف السادس

فى صحن المسجد الذى وقعت فيه جريمة قتل الطفل.. يجلس المأمون على كرسى الواعظ فى مواجهة عدة صفوف من الجالسين على السجاجيد... وفى الصف الأول منهم يحيى بن أكثم وأنبا يوساب بطريرك الإسكندرية، وأنبا ديونوسيوس بطريرك أنطاكية، وعيسى بن منصور الرافقى الوالى، وعامل الشرطة أبومغيث موسى بن إبراهيم ، ثم ناس آخرون فى الصفوف التالية... تطلق الأضواء على الجالسين، وهم فى لحظة صمت وحزن... ثم ينطلق المأمون..

المأمون: لا حول ولا قوة إلا بالله..

الجميع: لا حول ولا قوة إلا بالله..

(يصمت المأمون ويخيم الحزن العميق).

المأمون: لا حول ولا قوة إلا بالله!!

الجـــمـــيع: لا حول ولا قوة إلا بالله!!

المأمـــــون: أهى علامات القيامة؟!

الجـــمـــيع: أهى علامات القيامة؟!

المأمـــــون: تنتـهك حـرمـة المسـاجـد.. ويبـاح دم طفل فى العاشرة؟!

الجـــمـــيع: تنتـهك حـرمـة المسـاجـد ..ويبـاح دم طفل فى العاشرة؟!

المأمـــــون: ويحـدث هذا فى عـهـدك يامـأمـون.. أيها الظالم للأمانة؟!

الجـــمـــيع: ويحـدث هذا فى عـهـدك يامـأمـون.. أيها الظالمُ للأمانة؟!

(عند هذا ينتبه المأمون إلى الببغاوات التى تكرر خلفه ، حتى إنهم يشتمونه بلا وعى... فيصرخ)..

المأمـــــون: صه.. صه .. أتتهموننى بالظلم .. فى وجهى؟!

(يهب الجـمـيع واقـفين، فى رعب وانزعـاج، وقـد أفاقوا فجأة على سقطتهم... وتتداخل أصوات الاعتذار)..

الجـــمـــيع: عفواً ..عفواً

: مولاى أمير المؤمنين... لا نقصد...

: إنك أعدل أهل الأرض

: أمرك نافذ يامولاى

: للمجرم القصاص العادل

المأمــــون: كفى ..كفى لغطا

اجلسوا..

(يجلسون إلا أبو مغيث موسى بن إبراهيم يظل واقفا ثم يسحب سيفه)..

أبو مـغـيث: مولاى يأمرنى بحز الرقاب ..ومعاقبة من أخطأ فى حقه..

المأمــــون: من؟ أبو المغـيث مـوسى بن إبراهيم عـامل الشرطة؟! ياللشرف ..تتحدث عن العقاب ،وجز الرقاب.. لم لم تفعل بالأمس فيمن ارتكب الجرم الفظيع؟ فى أية حانة كنت ياأبا المغيث؟

أبو المغـيث: كنـ... كنـ.. كنت يامولاى أقوم على حفظ الأمن والنظام فى الحـانات ..أقـصـد فى كل شـوارع الفـسطاط ودروبهـا... وأطارد الخــارجين واللصوص والعيارين والزعار والحرافيش..

المأمـــــون: تطارد الحرافيش أنت وكل رجالك؟.. وتوفر الأمن والأمـان وتحـفظ النظام لمن، إذا كان الأمـان قد ضاع في بيوت الله؟!

أبو المغــيث: حـادث فردى يامولاى.. حـادث فردى، وسنقبض على مرتكبه ونقتص منه..

المأمـــــون: حـادث فـردى أيهـا الشـرطى الخـامل؟ ويقع وأنا في الفسطاط؟ فمـا الذى يحدث وأنا فى بغداد، وليس أمـامك من يحـاسـبك غـيـر هذا الوالى الضـعيف؟.. حـدث فـردى وأنت تعلم أن من قـتل نفسا بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعا؟

شـخص «١»: ابنى..ابنى الوحيد يا أمير المؤمنين... فلذة كبدى وقرة عيني... مزق الكبـد وفقئت العين... وفى بيت الله الآمن.

شـخص «٢»: ابنى هذا يا أمـيـر المؤمنين **(ويشـيـر إلى الطفل بجـواره)** كـاد يجن حـينمـا عـاد إلينا بالأمس ، وراح بصـعوبة يروى مـا حـدث أمـام عينيـه ولولا اختفاؤه خلف أحد الأعمدة لقتلته المرأة كما قتلت رفيقـه..قم.. قم يابنى واحك لأمـيـر المؤمنين مـا

رأيت...

(الطفل ينفجر فى البكاء ويرتمى فى حضن أبيه الذى يهدئ من روعه)

المأمـــون: لا تخف يابنى.. أنت الآن فى العاشرة.. بعد سنين قليلة ستبلغ الرشد، ستضحى فارسا تنازل الأعداء... لا تبك أيها الفتى لا تبك.

الطـفـل: كان هناك رجلان أحدهما قبيح الوجه حليق اللحية، والآخر ذو لحية منقطة بين البياض والسواد... ومعهما الملثمان اللذان تعلق حازم... رفيقى بثياب أحدهما فتعرت الملابس وبدا أنه امرأة.

الـوالـى: أهى جميلة يابنى؟!!

يحيى بن أكثم: أهذا ما يشغلك أيها الوالى؟ قتل وانتهاك حرمات الله وتسأل عن الجمال؟!!

أبو المغـيث: لعله.. لعله يريد أن يعرف ملامح القاتلة.

المأمـــون: حتى إذا عرف هو أو عرفت أنت... مـاأظنكما فاعلين شيئا أيها الخانعان إن حسابكما عسير.

الطـفـل: لم يكتفوا بقتل رفيقى لقد عاد إليه الرجلالحليق

الدميم وراح يضغط جرحه، ورفيقى يصرخ، وحاولت الصراخ فلم أستطع .. الدم..الدم.. الدم..

(يصرخ الطفل ويرتمى على الأرض، ويأخذه أبوه فى حضنه)..

المأمـــون: أيها الوالى .. تنتزع كل أملاك عامل الشرطة، ويعطى نصفها لوالد هذا الطفل والنصف الآخر لوالد الطفل المقتول..وتترك الفرصة لأبى مغيث للقبض على القاتلين وإلا حبس وعزل من موقعه.

شخص «٢»: يحيا العدل .. يحيا العدل .

الجـمـيع: يحيا العدل... يعيش أمير المؤمنين .

المأمـــون: صه... صه.. لا هتاف لإنسان فى بيت الله..

شخص «٣»: لقد أنصفت يامولاى أهل الطفل القتيل... أما أنا فما زلت أنتظر الإنصاف .. وقد شكوت لعامل الخراج وللوالى... ولم يستجيبا لى..

المأمـــون: قل مظلمتك أيها الرجل..

شخص «٣»: أنا ذمى ياأمير المؤمنين ... ولدى حانوت لبيع الغلال... ولكن الجفاف ، وشظف العيش لدى

الناس أوقف البيع والشراء منذ شهور، لقد مات خلق كثير جوعا، ولم يرحمنا عامل الخراج، فراح يطالبنى بالجزية والخراج أضعافا مضاعفة..

الــوالـــى: إنه حق بيت المال... نأخذه من الناس ليعود إليهم.

شخص «٣»: إذا كنا لانربح دينارا فى الموسم... فكيف تطلبون منا دينارين ؟ لقد بعت ياأمير المؤمنين بعض حميرى التى أحمل عليها الغلال لأسدد ما يطلب منى..

المأمـــون: أيها الوالى يعفى من الجزية هذا العام هو وأمثاله ويعود إليه ثمن حميره من أموال عامل الخراج أحمد بن الأسبط... وعليكم أن ترعوا الله فى الرعية... ألم تسمع قول رسول الله: **(إن الله سيفتح عليكم مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة فعفوا أيديكم وفروجكم وغضوا أبصاركم؟)** ولم يكن هذا الحدث العظيم إلا من فعلك وفعل عمالك... حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتمونى الخبر

حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد فانظر ماذا فعلت بالناس يابن منصور.

الجـــمـــيـع: بارك الله فيك ياأمير المؤمنين.

(ينظر المأمون إلى يحيى بن أكثم بما يعنى الرغبة فى الانفراد مع البطريركين والوالى وعامل الشرطة ويحيى بن أكثم)..

يحيى بن أكثم: مولانا أمير المؤمنين يرفع الآن جلسة النظر فى المظالم إلى الغد بعد صلاة العصر..

(ينصرف الناس ويبقى الصف الأول)..

المأمـــــون: لقد علمت أيها الأنبا المبجل يوساب بموقفك الرافض لخروج هؤلاء البشموريين.

الأنبا ديونوسيوس: وأرسل إليهم ياأمير المؤمنين بعض رسائله يوبخهم ويدعوهم إلى نبذ العصيان.

الأنبا يوساب: لقد أرسلت إليهم رسائل كثيرة ياأمير المؤمنين وقلت لهم فيها فصولا من الكتب.. قلت لهم «قال لسان العطر بولس: كل من يقاوم السلطان فهو مقاوم حدود الله والذى يقاومه يدان» لكن الهداية قد تكون بعيدة عنهم اليوم وقريبة منهم غدا...

فلنمهلهم حتى يعودوا إلى الحدود.

المأمـــــون: إننا راضون أيها الأنبا العظيم لإخماد الفتنة «وهاهو ذا أمـــرك أنت ورفـــيـــقك البطرك ديونوسـيـوس : أن تمضـيـا إلى هؤلاء القـوم وتردعاهم كما يجب فى ناموسكما ليرجعوا عن خلافهم ويطيعوا أمرى فإن أجابوا فأنا أفعل معهم الخير فى كل ما يطلبون منى ، وإن تمادوا على الخلاف فنحن بريئون من دمائهم»..

الأنبـا يوسـاب: سنفعل عاجلا ياأمير المؤمنين.

(يدخل أحـمـد بن الأسـبط لاهثـا إلى صـحن المسجد)..

ابن الأسـبط: مولاى.. لقد قتل البشموريون عشرة من تجار بغداد، ونهبوا غلالهم وجمالهم وجواريهم وعبيدهم.

المأمـــــون: اغرب عن وجهى يابن ال... يابن الأسبط...

إظلام

الموقف السابع

ساحة متسعة وسط البيوت، تشبه الجرن فى الريف، وتضاء الأنوار على لغط شديد كالعراك، وقد جلس صموئيل بن بطرس ومعاوية بن عبد الواحد بن محمد على كرسيين متجاورين، وقريبا منهما تجلس سما بنت داود على كرسى أقل فخامة، ووراءهم حراس بالرماح والسيوف يقفون فى نصف دائرة.. وأمامهم على الأرض جاريتان بيضاء وسمراء.

صموئيل بن بطرس: .. ولم لا أكون أنا يامعاوية ملك المملكة البشمورية التى سنقيمها ، وتكون أنت نائبى، أو كبير وزرائى، أو قائد جيوشى؟!

معاوية بن عبد الواحد: أنا... معاوية بن عبد الواحد بن محمد أرضى أن أكون نائبا لك ياصموئيل؟!

صموئيل: وهل أرضى أنا صموئيل بن بطرس أن أكون نائبك أو قائد جيشك؟!

مــــعـــاوية: هذا أمر طبيعى.. فمعى قبائل لخم، وما أدراك ما لخم؟!

صــمــوئيل: ومعى الأقباط البشمُوريون ها هنا فى مصر السفلى جميعا.. وما أدراك من هم!! وأنا مفجر هذه الثورة.

مــــعـــاوية: وأنا داعمها وساعدها وبدونى كان قد فتك بك وبأهلك عيسى ابن منصور، والأفشين..

صــمــوئيل: أنت هارب إلينا بعد تقهقرك أمام الأفشين.

مــــعـــاوية: بل أردت أن أضم قوتى إلى قوة الأقباط ضد العباسيين..

فأنا للملك وأنت نائبى وخليفتى.

صــمــوئيل: بل أنا لها..

مــــعـــاوية: أنا لها

صــمــوئيل: أنا لها

(يجرد كل منهما سيفه، وينقسم الحراس خلفهما إلى فريقين يتأهبان للقتال... وفجأة تصرخ فيهما سما بنت داود).

ســـــمـــــا: قف أنت وهو... متى تتوقفان عن هذا الصراع

الغبى؟!

اجلسا.. اجلسا..

(يمتـــثل الاثنان ، ويعـــود الحـــراس إلى مواضعهم... ثم تستأنف سما).

ســــمـــا: أنسيتما أن آخرين يشاركونكما هذا الأمر؟! أتتجاهلان الزعيمة الحقيقية سارة بنت يهوذا؟!

معاوية وصموئيل: لا طبعا..

ســــمـــا: وأنا أحمل تعليماتها إليكما من هناك... من فم الأسد..كل لحظة تعرض نفسها للقتل لتنجح ثورتكما هذه .. ثم تتشاجران هنا!!

مــــعـــاوية: هو ليس شجارا..إنه خلاف..

صــمـــوئيل: لا أبدا .. ليس خلافا.. مجرد وجهات نظر..

مــــعـــاوية: بل خلاف.

صــمـــوئيل: وجهات نظر..

ســــمـــا: اصمتا... لا أنت ملك ولا هو... فأين المملكة وأين العرش؟! إن أمامكما قتالا شديدا حتى تزيلا حكم العباسيين ثم نجلس جميعا نتقاسم الأسلاب... فيما بعد..

معاوية: لابد من قيادة لجيوشنا، لنتمكن من التنظيم والإعداد والتخطيط الجيد... وقد تعلمنا من ديننا أن من يؤمنا فى المسجد واحد فقط.

صموئيل: ونحن تعلمنا من ديننا أن أكثر من قس يقيم الصلوات فى الكنيسة.

سما: تعودان للمناكفة... حسم الأمر بأن تتقاسما القيادة، كل منكما يتولاها يوما أو أسبوعا أو شهرا.

معاوية: على بركة الله أبدأ أنا..

صموئيل: باسم المسيح أقود أنا ..

سما: فليتول صموئيل القيادة أولا.. لمدة أسبوع... ثم يتلوه معاوية..

(يقف صموئيل بن بطرس بقدميه فوق الكرسى ليخطب فى المحيطين به)

صموئيل: أيها الحراس... أيها الناس... أنا قائدكم... آمركم فلبوا، أنهاكم فانتهوا، أزجركم فامتثلوا، أوبخكم فابتسموا، بل...بل أبصق على وجوهكم البركة لتسعدوا!!

مـــعـــاوية: **(هامسا)** لاسمعا ولا طاعة..

صــمــوئيل: ماذا تقول يانائبى؟!

مـــعـــاوية: أقول سمعا وطاعة أيها القائد **(فى همس)** لمدة أسبوع...

صــمــوئيل: أول أوامرى... دفن جثث التجار البغداديين العشرة فى الكنيسة المجاورة.

مـــعـــاوية: إنهم مسلمون

بعض الحرس: كيف يدفن المسلمون فى الكنيسة أيها القائد؟!..

صــمــوئيل: هذه أوامرى..

مـــعـــاوية: هى ضد شرعنا... ولا يمكن تنفيذها.

صــمــوئيل: من الذى قتل هؤلاء؟!

بعض الحرس: نحن البشموريين أيها القائد.

صــمــوئيل: إذن، فهم ضيوف على من قتلهم!!

مـــعـــاوية: هذا والله ما لا يكون أبدا... الواجب أن يدفنوا فى قبور المسلمين وأن نصلى عليهم أيضا.

ســــمـــــا: لا قبور المسلمين ولا قبور الأرثوذكسيين.. سيدفنون فى أرض فضاء.

صــمــوئيل: أنا قائدكم ..آمر بدفنهم فى أرض فضاء حتى

تنبش الذئاب مدافنهم وتنهش لحومهم!!... أما أمرى الثانى فهو ضم هاتين الجاريتين الحلوتين **(يشير إليهما فتتقدمان)** إلى جوارى فى منزلى العامر ... أيها الحارس.. خذهما... خذهما...

معاوية: أيها الحارس ..قف ... لا تأخذهما..

صموئيل: أتعصى أوامرى أيها النائب!!

معاوية: الجاريتان لى... إنهما مسلمتان... وينبغى أن تتمكنا من الصلاة والصيام وشتى العبادات .

صموئيل: ما لنا نحن والعبادات .. إنها غنيمة لنا ... خذهما أيها الحارس.. خذهما..

معاوية: لا تأخذهما أيها الحارس... لا تأخذهما ... إنهما بعض حقى..

سما: الجاريتان قسمة بينكما..

صموئيل: لى البيضاء منهما..

معاوية: بل لك السمراء

صموئيل: لم لا تكون السمراء لك... وأنت النائب وأنا القائد..

معاوية: أنت القائد لمدة أسبوع... فهل أعطيها لك ثم أسحبها منك بعد ذلك؟!

صموئيل: هى ليست سروالا تعطيه وتسحبه.. إن البيضاء لى للأبد .. والسمراء لك إن شئت.

سما: هى ليست الجارية الأخيرة أيها الرجلان... أمامكما أن تنالا ماتشاءان من الجوارى... القتال قادم... وحصاده من النساء والغلمان كثير... فلتكن البيضاء لصموئيل والسمراء لمعاوية **(تغمز بعينها)** وأنا أعوضه!!

معاوية: الله أكبر.. هذه خير عوض لى... اذهب بجاريتك أيها الصموئيل!!

صموئيل: القرار الثالث .. أن ترقص الجاريتان!!

معاوية: هذه هى القرارات الحكيمة.. أؤيدك أيها القائد.. ارقصا..ارقصا..

(تتقدم الجاريتان إلى وسط الساحة على طرق الدف والعود.. وترقصان .. وفجأة يندفع إلى الساحة أحد الحراس لاهثا).

الحارس: سيدى صموئيل ، سيدى معاوية... على بعد

ميلين من هنا، وأنا أرصد الطريق رأيت عشرين قادما غريبا... جواسيس...جواسيس ياسيدى قادمون إلى هنا.

معاوية: أرأيتهم عن قرب.

الحارس: لا . .عن بعد ..لكن رأيت الخيول بوضوح ، وفوقها رجال بأزياء غير أزياء البشموريين.

صمونيل: القتال .. القتال... هيا إلى الجواسيس.

(يهرولون جميعا إلى خارج الساحة، ويتذكر صمونيل قبل خروجه أنه نسى جاريته ، فيعود ويضمها فى حضنه ويخرجان!!)

إظلام

الموقف الثامن

تضاء نفس الساحة على الأنبا يوساب والأنبا ديونوسيوس، وقد جلسا على كرسى صموئيل ومعاوية بينما يقف هذان بجوارهما، مع سما بنت داود، ويتحدث صموئيل فى توقير للأبوين.

صموئيل: بوركت كل أرض البشموريين ياأبوينا العظيمين.. كم كنت أحلم أن أزور غبطة الأب يوساب فى الإسكندرية... وها هو ذا يأتى بنفسه

معاوية: وبرفقته غبطة الأب العظيم ديونوسيوس... هذا الحبر الذى يوقره كل المسلمين، ويقربه المأمون إليه.

سما: أظن الحبرين الجليلين بهذه الزيارة قد أضفيا البركة والرضا على حركتنا هذه ومقاومتنا لظلم المسلمين... أقصد العباسيين.

صموئيل: إنها أول خطوة لإعلان مملكة البشموريين فى شمال الدلتا ..وسوف تمتد وتمتد إلى الجنوب

حتى الفسطاط..

معـاوية: الفسطاط فقط؟... ومصر العليا أيضا حتى بلاد النوبة فيكون هناك مملكتان: لك واحدة ولى الأخرى..

صموئيل: لم نتفق على هذا التقسيم من قبل... نريدها مملكة واحدة بزعامتى ، وأنت مساعدى.

معـاوية: بل بزعامتى أنا وتساعدنى أنت.

صموئيل: لم نر أحدا من شيوخ الإسلام جاء إليك الآن ليباركك... بل جاء أبوانا العظيمان بطريرك الكرازة المرقسية وبطريرك أنطاكية من أجلى أنا.. أنا مثلهما.

سـمـا: مرة أخرى تعودان إلى الشقاق، حتى فى حضرة الحبرين الأعظمين... كل هذه الطموحات تحسم فيما بعد... وأذكر مرة ثانية بماذكرت به من قبل.. أتفهمان؟!

معـاوية: نعم لا يصح الجدال فى حضرة الحبرين الأعظمين.

صموئيل: أيها الحارس ..أعدوا وليمة الاحتفال بالأبوين

القديسين.. فلتذبحوا بقرا وغنما لأبوينا ومن يرافقهما من آباء كنيستنا الأرثوذكسية المباركة.

الأنبا يوساب: صموئيل!..

صموئيل: أمر أبينا العظيم.. أتباركنى الآن؟!

الأنبا يوساب: صموئيل بن بطرس... هل أنت مسيحى؟!

صموئيل: نعم؟! نعم... ياأبانا العظيم، وكامل الخضوع لك... ها أنذا أريد أن أتلقى البركة منك

(يتمسح صموئيل فى الأنبا ويقبل يده، بينما يسحبها منه البابا بعنف).

الأنبا يوساب: أمتأكد أنت من مسيحيتك؟!

الأنبا ديونسيوس: يبدو أنه منصرف عن الجوهر إلى العرض .. لا يفقه سؤالك أيها الأب المقدس.

صموئيل: لا .. يا أبانا ديونوسيوس أنا أفهم... يقصد أبونا إن كنت أحافظ على الصلوات فى غمرة الحرب التى أخوضها من أجل الضعفاء.

أنبا يوساب: هو كما ذكرت أيها الأب المقدس ديونوسيوس... أقول لك ياصموئيل بن بطرس هل أعطيت ما لله لله وما لقيصر لقيصر؟!

صـــمــوئيل: قـيصـر لم يعد مـوجـودا يأبانا يوسـاب... إنما يحكمنا الآن عيسى بن منصـور والى المأمون .. وقد ظلمنا وطغى فينا هو وعماله وحملونا ما لا نطيق..الفيضـان يأتى ضـعيفا، والأرض تظمأ، والماشـيـة تنفق، والناس تجـوع وهو يطالبنا بالجزية والخراج أضعافا مضاعفة..

مـــعـــاوية: إنه لم يرحم كتابيا ولا حتى مسلما ..لقد عمنا ظلمه، وغاب عنا عدله.

الأنبـا يوسـاب: عيسى بن منصـور فرد... وأنتم الآن تعصـون السلطان كله...

الأنبا ديونوسيوس: وللإنصـاف هذه أبواب تطرق ، ليس منهـا أن تقتلوا الناس، وتنهبوا القوافل، وتعيثوا الفساد فى الأرض، وتخرجوا عن الطاعة.

الأنبـا يوسـاب: رد الظلم لا يعنى الوقوع فيه... وأنتم امتنعتم عن الجـزية والخـراج، وتجـاوزتم الحد بأسـر بعض عمال الوالى، والسطو على الكور وخطف الأطفال والناس وبيعهم وقتل الشيوخ والعجائز.

الأنبا ديونوسيوس: من يُظلم لا يظلم.

الأنبـا يوسـاب: أبواب بغداد مفتوحة لكم... لم لم تطرقوها، وتنقلوا المظلمة إلى الخليفة المأمون؟!

الأنبا ديونوسيوس: هو برىء من ظلم عماله وولاته، وقد عدل حين عرض عليه شىء منها.

صمـوئيل: الخليفة مسلم... والمسلمون يعادون الأرثوذكسيين يا أبوينا.

معـاوية: ليس كل المسلمين، بل بنو العباس فقط... لقد منعونى ولاية مصر ، وأعطوها لهذا الخائن عيسى بن منصور ... وحتى .. حتى الخراج ضنوا به علىَّ وأقاموا عليه أحمد الأسبط وأنا الكفء له.

الأنبـا يوسـاب: طالب الولاية لا يولى يامعاوية..ولو رأى المأمون فيك نفعا لانتفع به ونفع الخلافة.

الأنبا ديونوسيوس: ألا تعلمان أن الخليفة أعطى إمارة (بورة) هنا من كور مصر ، لبشارة بن أحمس القبطى.. وقد بنى فيها كنائس كثيرة؟

صمـوئيل: بورة... مجرد (مدينة) وبشارة هذا خارج عنا ورفض أن ينضم إلينا فكافأه المأمون بالإمارة

الأنبـا يوسـاب: ليس وحـده من يرفض تمردكم هذا ..أنا أيضـا أرفضـه والأنبا ديونوسيوس، فـهل يمنحنا المأمون حكم مدينتين ؟

صـمـوئيل: أنت يا أبانا يوساب ترفض أن تقاوم الظلم إذن؟

الأنبـا يوسـاب: الظلم ما تفعلون... عودوا إلى الحظيرة..

سـمـا: أتتفق مع المسلمين ضد أبناء كنيستك؟

الأنبـا يوسـاب: **(مغتاظا)** من أين أنت أيتها الابنة المتجرئة على أبيك؟

سـمـا: لست أبى .

الأنبا ديونوسيوس: أهكذا يخاطب الأنبا العظيم؟! لم لم تجيبى على تساؤله؟

سـمـا: أنا .. أنا لست تابعة لكنيستك.

الأنبـا يوسـاب: لست من اليـعـاقـبـة إذن. أتنتـمـين للكنيـسـة الملكانية؟

صـمـوئيل: ولا هذه..

سـمـا: أنا ..أنا يهودية..

الأنبـا يوسـاب: من قـاتلى الأنبـيـاء إذن... فلتـذهبى إلى الشيطان.. اذهبى!!

(تضطرب سما، وتهم بالانصراف فى خوف)..

صـــمـــوئيل: لا ... إنها لن تذهب .

الأنبا ديونوسيوس: أظنك خرفا..

صـــمـــوئيل: أنا واع لما أقول... هى لن تذهب .

الأنبا ديونوسيوس: يأمرها الأب الجليل بالذهاب فتعصى أمره؟!

صـــمـــوئيل: الأب الجليل ليس معنا..

(يلتفت ناحية باب الساحة وينادى)..

صـــمـــوئيل: أيها الحراس..لا تذبحوا غنما ولا بقرا ولا حتى قططا لأحد!!

الأنبا ديونوسيوس: أمدرك أنت بما تفعل وتقول أيها الرجل... إنه أبوك العظيم الأنبـا يوسـاب بطريرك الكرازة المرقسية..

الأنبـا يوسـاب: هو جاهل فى حالة طيش..

صـــمـــوئيل: ليست كذلك... مادمت مع عدوى فأنت عدوى..

الأنبـا يوسـاب: أتخالف التعاليم وتخرج عن الكتب أيها الضال؟!

صـــمـــوئيل: مـاذا لو خـرجت؟! أتملك من أمـرى شـيـئـا؟! السـلاح معى، والحشـود معى، وليس معك أنت الآن سوى عشرين من القسس والرهبان.. ماذا

أنت فاعل بهم؟!

الأنبـا يوسـاب: لقد جئناك نبغى نفعك، ونحذرك نفسك... فإما أن تمتثل لى... وللسلطان أو أن ندعك تلقى مصيرك المؤلم ومن معك.

ســمــا: أيها العجوز... ألا يكفيك ما تلقيت من ردود... فلا أهلا بك ولا سهلا..

الأنبا ديونوسيوس: يا صموئيل .. «ما يبطئ عنكم الهلاك، بل يتم عليكم ما قاله النبى إشعيا: إنى أسلمكم للسيف ويقع جميعكم بالقتل لأنى ناديتكم فلم تسمعوا كلامى وخالفتم وفعلتم الشر أمامى»

صـمـوئيل: الشر ما فعلته أنت أيها الرجل الخرف... ياحراس... ياحراس..

(يدخل عدد كبير منهم بالحراب والسيوف، ويحيطون بالأبوين فى تحرش واضح).

صـمـوئيل: أيها الحراس.. جردوا هذين الرجلين من صلبانهما..

حــارس: ورفاقهما بالخارج؟!

صـمـوئيل: هم أسرى لنا... خذوا أموالهم وخيولهم

وملابسهم واحبسوهم حتى نرى رأينا فيهم.

(ينسحب البطريركان في مهانة وهما يرددان معا)..

البطريركان: ما يبطئ عنكم الهلاك

ما يبطئ عنكم الهلاك!!

إظلام

الموقف التاسع

بقعة ضوء تسقط على المأمون فى قاعة الحكم بقصر الوالى، وهو يختم الصلاة .يقترب منه الحارس، مستأذنا فى دخول أبى مغيث موسى بن إبراهيم عامل الشرطة.

الحـــــارس: مولاى أمير المؤمنين ... بالباب الآن أبو مغيث عامل الشرطة..

المأمـــــون: أبو مغيث.. المقصر فى عمله دائما، أيحمل خبر عصيان جديدا؟!... دعه... دعه يدخل..

(يدخل أبو مغيث لاهثا، مع ملامح السعادة والانتصار البادية على وجهه)

أبو مـغـيث: مولاى ... أبشر.. لقد كشفتهم!!

المأمـــــون: من؟! قتلة الصبى؟

أبو مـغـيث: نعم.. لا .. نعم ..لا !!!

المأمـــــون: لا حول ولا قوة إلا بالله... أجننت يارجل؟!

أبو مـغـيث: معذرة يامولاى.. إنى سعيد وحزين ، وقلق ،

ومستريح تماما..

المأمـــــون: إذن أنت مـجنون فـعـلا: سـعـيـد وحـزين وقلق ومستريح... كيف تجمع كل المتناقضات؟!

أبو مــغــيث: سـعـيـد أنـي نجـحت كـشـرطـي أنتظر ثقـة أمـيـر المؤمنين فيَّ، وحـزين لأن هذا النجـاح كـشف لي مصيبة..

المأمـــــون: مازلت تهوم يا أبا مغيث..

أبو مــغــيث: لقد قـادني البحث والتحري من خلال البصاصين والعسس إلى لقـاءات يومـيـة يعـقدها أحـمـد بن الأسبط عند سور الحصن: حصن بابليون..

المأمـــــون: مع رجاله من جامعي الخراج؟!

أبو مــغــيث: مع بعض اليهود..

المأمـــــون: أتراهم يصلون هناك جماعة؟!

أبو مــغــيث: يتآمرون يامولاي... وقد هالني الأمر... وحزنت له، وأشفقت عليه، ولعنته في الوقت نفسه .

المأمـــــون: أتقسط لي الكلام ياأبا مغيث؟! استطرد يارجل.

أبو مــغــيث: ينقلون خطط الحرب إلى البشموريين ، ويتحدثون عن مملكة بشمورية ستقام بزعامة صموئيل بن

بطرس ومعاوية بن عبد الواحد، ويحركهم من وراء ستار هؤلاء اليهود.

المأمـــــون: أموقن بما تقول يارجل؟ إنك تتحدث حديثا مهولا..

أبو مغيث: أقسم بالله يامولاى هذا ما يحدث فعلا... وقد انتظرت طويلا وسمعت من عيون كثيرة بكل ما يدور ... ولم يختلف البصاصون فى شىء مما قلت... وكان ابن الأسبط يمد هؤلاء اليهود بالفلوس.

المأمـــــون: فلوس الخراج؟

أبو مغيث: لا أدرى ياأمير المؤمنين؟

المأمـــــون: وما دافعه لعدائنا، ونحن استأمناه على أمورنا وخولناه مهام جسيمة؟!

أبو مغيث: إنه متآمر متواطئ يامولاى..

المأمـــــون: ابن الأسبط ... متآمر متواطئ؟

أبو مغيث: ولا يخلص لكم إلا ليتمكن من نهب أموال الخراج، وظلم الناس ، ليدعم عصيان البشموريين..

المأمـــون: لو كان الأمر كذلك... فأعداؤنا في داخلنا .. والمرض إذا تسلل للجسد أضعفه وآذاه... وأين هم الآن ياأبا مغيث؟

أبو مـغـيث: قبضت عليهم... ثلاثة... وهم الآن فى يد حراس مرهونون على باب القصر.. حتى نأتمر بأمر مولاى..

المأمـــون: أيها الحارس ... أحضر المقبوض عليهم من أمام باب القصر..

أبو مـغـيث: لقد تعبت .. تعبت كثيرا يامولاى حتى أتتبع خيوط المؤامرة وأمسك بها جميعا فى يدى ..ألا أستحق يامولاى بعض رضاك؟!

المأمـــون: مازال الأمر اتهاما لهؤلاء... ولم نصل إلى اليقين بعد..

كما أنك ياأبا مغيث لم تقبض على قاتل الصبى بعد..

أبو مـغـيث: سوف يحدث يامولاى... فعيونى مبثوثة فى كل موطئ قدم.

(يدخل الحراس وهم يدفعون أمامهم أحمد بن

الأسبط وحاييم بن عطا وسارة بنت يهوذا مقيدى الأيدى، ويجرى ابن الأسبط ناحية المأمون)

ابن الأسبط: أدركني يامولاى... لقد اعتدى علينا أبو مغيث ونحن نؤدى عملنا..

المأمون: تؤدون عملكم ؟! كيف تفعلها يا أبا مغيث؟!

ابن الأسبط: كنت أجلس مع هذا الرجل حاييم بن عطا لتداول أعمال الخراج... وكبس علينا أبو مغيث برجاله وقيدونا وجرونا أمام الناس فى أغلالنا.

المأمون: حاييم بن عطا ..أهو أحد عمال الخراج؟

ابن الأسبط: هو ليس عاملا بمرسوم منكم يامولاى.. لكنه يطلعنى على أرباح التجار والحرفيين ، والوالى عيسى بن منصور يعرف هذا..

المأمون: وهذه الجارية الغضة، البضة، الفارعة البهية..أهى من عمال الخراج كذلك؟!

(عند هذا ينتصب حاييم ويشرق وجهه، ويهب قائلا:)

حاييم: هى لك يامولاى.. جاريتك المخلصة ، ملك خالص لك... إنها المطيعة لكم سارة بنت يهوذا.

المأمــــــون: أنت تهديها لى إذن... وهى لم تقل شيئا.

(تجرى نحوه منحنية على قدميه ويديه تقبلها).

ســـــــــارة: مولاى أمير المؤمنين .. ومن يدركه مثل هذا الشرف ولا يتمناه؟! أنا أمتك المخلصة لك للأبد..

المأمــــــون: أنت فاتنة ياسارة.. ولذا فهناك من هو أجدر بك منى..

(يلتفت المأمون ناحية الباب مناديا على السياف).

المأمــــــون: أيها السياف .. استعد الآن لقطف الرقاب .

الســـيــاف: فى انتظار إشارة مولاى أمير المؤمنين .

ابن الأسـبط: لست أنا يأمير المؤمنين ..هم... هم الذين .. الذين..

المأمــــــون: انطق .. تكلم..

ابن الأسـبط: هم قاتلوه.. أترانى أقتل مسلما؟! إنهم الثلاثة الذين ارتكبوا جرمهم .

حـــــاييم: لا يامولاى.. لا ..إن قتل الصبى حدث فى المسجد ... ونحن اليهود .. فهل يدخل اليهود المساجد؟!

أبو مـغـيث: **(مذهولا)** الصبى .. المسجد ..إذن أنتم أيها

المعتدون على بيت الله .. وهل يعتدى على حرمة المساجد إلا أنتم؟!

ابن الأسـبط: نعم يا أبا مـغـيث إنهم هم الثـلاثة الذين قـتلوا الصبى فى المسجد.

أبو مـغـيث: ومن الثالث؟!

ابن الأسـبط: إنها سما بنت داود

أبو مـغـيث: وأين هى هذه المرأة؟!

ابن الأسـبط: فى الطريق... فى الطريق إلى الفسطاط..

أبو مـغـيث: من أين تأتى؟!

ابن الأسـبط: تأتى من ....

حـــــايـيم: **(صارخا)** كفى... كفى يابن الأسبط لا تقتلنا مرتين... إن سما يامولاى أمير المؤمنين قادمة إلينا من بلبيس فى رفقة بعض التجار... هى تشاركهم بأموال والدها العجوز..

ســـــــارة: والدها عجوز جدا، ومريض ، ولديها عشرة... عشرة أخوة صغار عليها أن تقوتهم يامولاى... وأمها..أمها ميتة..

أبو مـغـيث: وأمها ميتة ، وجدها ميت...وتتآمر على الخلافة،

وتنقل الخطط العسكرية إلى البشموريين..

(تنزل الجملة الأخيرة كالصاعقة على ابن الأسبط وحاييم وسارة. فيسقطون على الأرض مغمى عليهم... فيسرع الحراس إلى جرهم إلى جانب من القاعة)..

المأمـــون: أحسنت ياأبا مغيث... لقد ثبتناك فى موقعك، وعيناك على رأس جيش يتجه إلى الصعيد للقبض على ابن عبيدوس الفهرى الهارب إلى طما... ولك كذلك أن تطلب ما تشاء يا أبا مغيث..

أبو مـغـيث: يكفينا ... رضاك يا أمير المؤمنين..

المأمـــون: عليك الآن أن تأتى لنا بالمدعوة سما بنت داود من أى مكان وصلت إليه بالفسطاط... إلىَّ بها فورا يا أبا مغيث...

(مع انسحابه إلى خارج القاعة يدخل البطركان الأنبا يوساب والأنبا ديونوسيوس فى حالة متهرئة جدا)..

البطركـان: ما يبطئ عنهم الهلاك

ما يبطئ عنهم الهلاك

ما يبطئ عنهم الهلاك

المأمــــون: لقد عرفت أيها الأبوان العظيمان... لقد عرفت... خففا عنكما ما أنتما فيه..

الأنبــا يوســاب: عذاب الجسد راحة من أجل المسيح.. لكن عذاب النفس صعب يامولاى..

الأنبا ديونوسيوس: لقد قبضوا على كل مرافقينا من القسس وخدام الكنيسة... وقد يقتلونهم أو يعذبونهم.

المأمــــون: سيدركهم عذاب الله قبل أن يعذبوا هؤلاء الآباء الطيبين.. تفضلا بالجلوس..

الأنبــا يوســاب: بوركت ياأمير المؤمنين ، أعانك الله عليهم..

الأنبا ديونوسيوس: لقد احتشد آلاف المقاتلين الخارجين على السلطان .. وقد أقنعهم صموئيل ومعاوية بالسير فى طريق الخطأ .

المأمــــون: خففا عنكما أيها الأبوان العظيمان... أيها الحارس ... آتنى بإنجيل متى... أريد أن أستمع إلى صوت الأنبا ديونوسيوس

(يدخل الحارس بكتاب كبير من أوراق البردى،

ويضعه على حامل خشبى.. ويقرأ الأنبا ديونوسيوس بعض الآيات... وفجأة يدخل أبو مغيث يجر خلفه سما بنت داود، ويدفع بها أمام الخليفة.. فيذهل الأنبا يوساب... ويقف صارخا:)

الأنبا يوساب: إنها هى..
إنها هى..

إظلام

الموقف العاشر

ساحة البشموريين المتسعة، وعلى أطرافها تتناثر جـثث القـتلى من الطرفين المتـحـاربين .وقـبل الإضاءة يسمع صهيل الخيل، وصليل السيوف، والصرخات برهة ، ثم الصمت، ويضـاء المسرح على المأمـون ومـعـه يحـيى بن أكـثم وسط هذا الميدان، وأمامهما صليب كبير قد كسر أحد أطرافه ورمى على الأرض وبجواره هـلال تحطم جزء منه أيضا..

المأمــــون: لم أر معركة أشد منها ولا أكثر فتكا بالجيوش...

يحيى بن أكثم: أرض المعركة كانت تخدم البشموريين.. إنها طين زلق وبرك ومستنقعات أوقعت بنا أبلغ الضـرر يامولاى

(يدخل الأفشين لاهثا من إثر معركة أخيرة، وقد تهدلت ملابسه)..

المأمــــون: أقتلت صموئيل ومعاوية أم أسرتهما يا أفشين...

الأفــــشـين: كنا على وشك قتلهما لعنف ما أبديا من مقاومة.. لكن نجحنا فى أسرهما بعد أن تفرق رجالهما وقـتل من قـتل منهم، ووجـهنا سـهـمين إلى حصانيهما..

المأمـــــون: وكم عدد شهدائنا وجرحانا أيها القائد العظيم.

الأفــــشـين: لم أحص كل الشهداء والجرحى يامولاى... وقد عرفت أن الشهداء لا يقلون عن تسعمائة فارس وراجل، منهم من قتل فى الحرب، ومنهم من غرق فى المياه... ومصابونا يتجاوزون ألفين ياأمير المؤمنين..

يحيى بن أكثم: وقتلاهم؟

الأفــــشـين: تتناثر جثثهم فى الساحات والشوارع والحقول... ربما آلاف منهم... غـيـر المصـابين الذين سيموتون نزيفا وإهمالا، وربما أجهز جنودنا على بعضهم..

(يتغير وجه المأمون غيظا، ويحذر بعنف)..

المأمـــــون: مالك ياأفشين ... أأخذتك نشوة النصر عن سماحة الدين ..إياكم أن تجهزوا على جريح أو

أسير، أو أن تقتلوا شيخا أو طفلا أو امرأة أو تحرقوا زرعا أو نخلا أو بهيمة..

الأفـــشين: سمعا وطاعة يامولاى... سأحذر الجنود

المأمـــون: أيها الحراس .. أئتونى بالأسيرين صموئيل ومعاوية وباليهود الثلاثة وابن الأسبط

الأفـــشين: لقد قبض أبومغيث على ابن عبيدوس الفهرى بعد هزيمته فى الصعيد.. وهو بالباب الآن.

المأمـــون: فليدخل أبو مغيث بأسيره..

(يتواتر دخول هؤلاء فى أغلالهم ، ويأخذ أبومغيث موقعه بجوار الأفشين والمأمون ويحيى بن أكثم، بينما يصطف الآخرون صفين متواجهين)..

المأمـــون: ها أنتذا يابن عبيدوس الفهرى.. يا أصل الشقاق والنفاق .. شققت عصا الطاعة، وخرجت على الجماعة، وهتكت الأعراض ونشرت الفساد.

ابن عبيدوس: أعترف يامولاى أمير المؤمنين بذنبى..وأقر بجريرتى .. وليس لى إلا صفحك، فإن تعف فأهل عفو، وإن تعاقب فجزاء ما اقترفت يداى..

المأمـــون: لا أصفح.. ولا أعاقب..أنت يأبا مغيث أسرته،

ولك أن تفعل به ماتشاء... هو الآن فى يديك... خذه..

أبو مغيث: سآخذه ياأمير المؤمنين، لأعطيه لمن هو أولى به: حد السيف هذا..

(يدفع أبو مغيث ابن عبيدوس أمامه خارج الساحة وقد جرد سيفه .. وبمجرد خروجه تسمع صرخة ابن عبيدوس، ويعود أبو مغيث بسيفه يقطر دما).

المأمون: وأنت ياابن الأسبط، خنت الأمانة، وجرت فى حكمك فجمعت من الخراج لنفسك أكثر مما جمعت لبيت مال المسلمين، فتقلب علينا الناس وساقهم ظلمك إلى الخروج والعصيان..أنت يا ابن الأسبط قتلت نفسا بغير ذنب فى بيت الله..

ابن الأسبط: أقسم بالله يامولاى ما قتلته ، ولا حرضت عليه... إنما قتله هؤلاء اليهود.

أبو مغيث: هو كذلك ياأمير المؤمنين.

ابن الأسبط: العفو يامولاى.. اعف عن مسلم أخطأ بغير عمد ولا نية الفساد.. وقد أردت العدل فظلمت وما

يبقى لى إلا صفحك.

(ينظر المأمون إلى يحيى بن أكثم ويتهامسان ثم يتحدث)

المأمـــــون: لم تقتله، لكنك نشرت الفساد فى الأرض، وما جزاء المفسدين إلا أن تقطع أيديهم من خلاف.

يحيى بن أكثم: هومفسد فى الأرض لكن بدون علم بجريرته ..ولك ياأمير المؤمنين أن تقطع يديه أو تقتله أو تنفيه.

الأفـــشين: وصفح مولاى ربما عذبه طوال عمره.

المأمـــــون: يجـرد من أمـواله، ويبـقى فى الأرض إلى خراسان.. لا إلى.. إلى بلاد النوبة، ويحل دمه لمن يراه إذا خرج منها.. ويجلد الآن مائة جلدة.

(يتأهب السياف الواقف مع الحراس لجلده، فيرميه على الأرض)..

المأمـــــون: لا .. لست أنت أيها السياف.. من يجلده..

(يتأهب أبو مغيث لجلده، فيسحب السوط من يد السياف)..

المأمـــــون: **(يكمل)** فليجلده حاييم..

(يبتسم حاييم فى شماتة.. ويشد السوط من أبى مـغيث بعنف بعد أن فكوا قيـده... ويبـدأ فى ضربه بعنف شديد، حتى يغمى عليه، ولا يتوقف، ويجـرى سـحب ابن الأسـبط للخـارج، وحـاييم مازال يضرب ويعد، وبعض الحراس يحيطون به، حتى يعيدوه مكبلا لمحاكمته أيضا).

المأمــــون: أما أنتم أيها اليهود فقد عاملناكم بالحسنى، فرددتم بالسوء، لم نعتد على بيعة من بيعكم، ولا قتلنا منكم كبيرا ولا صغيرا، ولا أوقفنا لكم تجارة، فأثرتم الفتنة، وحرضتم على الخروج، وقلبتم المسلمين والقبط ضدنا.. فعليكم أن تحكموا أنتم على أنفسكم!!

ســـــارة: يامولاى... لقد..

(يلكزها حاييم بشدة وبشكل يلاحظه الجميع)..

المأمــــون: لماذا تسكتها أيها اليهودى؟!

(لايرد حـاييم على المأمـون ، فيـثير غيظ الجـمـيع ويسحب الأفشين سيفه ليضربه ، فيمنعه المأمون).

حـــــاييم: مولاى أمير المؤمنين لم يخاطبنى حتى أرد!!

يحيى بن أكثم: وراء هذا الكلام كلام!!

أبو مـغـيث: والله ما وراءه غير الجنون أو ادعاؤه!!

حـــايـيـم: مـا أنا بمجنون .. إنما قـد هداني الله إلى هذه الملة أنا ومن معي.

(تنظر إليه سـارة وسـمـا باندهاش واسـتنكار أيضا)..

سارة وسما معا: حاييم.. ماذا تقول؟!

حـــايـيـم: اخرسا أيتها الفتاتان.. لم أعد حاييم... ولم نعد نحن جـمـيـعـا يهـودا ..ألم ترياني أصلي الظهر والعصر قبل وقوعنا في أيدي «أخوتنا » المسلمين منذ يومين؟!

ســـــارة: نحن رأيناك؟!..آه .. نعم.. نعم يامـولاي.. أليس كذلك ياسما؟!

ســمـــا: حدث هذا ورب الكعبة!!!

حـــايـيـم: لقد تبنا وأنبنا وأنا الآن حسن بن عبد الله، وهذه سارة بنت مهتدي ، وسما بنت العابد..

(حالة من الدهشة المتبادلة والحيرة بين المأمون ورجاله... وينظر المأمون ليحيى بن أكثم فيتحدث

يحيى).

يحيى بن أكثم: دمهم حرام علينا الآن ياأمير المؤمنين.

(يرد الأفشين متحفزا ومستنكرا).

الأفـــــشين: هم أصل التحريض والقتل والفتنة، ويحرم دمهم علينا بزعمهم الإسلام؟!

أبو مـغـيث: إن الكذب مرسوم على وجوههم جميعا.. إنهم منافقون ليسوا مسلمين؟!

يحيى بن أكثم: نحن نأخذ بالظواهر ومكنون النفس فى يد الله..

المأمـــــون: خوف القتل ربما قادهم إلى الإسلام ظاهرا..

حــــــايـيم: لا يامولاى... أقسم برب السماوات والأرض ما الأمر كذلك.. إنها هداية الله.. ولو شئت اقتلنا ـ ونحن مسلمون ـ فاقتلنا.

يحيى بن أكثم: لو قلنا بأن الخوف قادهم للإسلام ، ولم نقبل إسلامهم، لقيل مثل هذا عن أبى سفيان بن حرب الذى لم يسلم إلا بعد فتح رسول الله مكة... ألم يتصل بعلمكم تأنيب النبى لخالد بن الوليد أن قتل رجلا أعلن الشهادتين بعد أن وضع خالد السيف على عنقه... وقال له ـ عليه السلام ـ

اقتلت رجلا مؤمنا؟!

المأمـــــون: إن كان فى قتلهم ذنب، فنحن نجتنبه ، وإن كان فى إطلاقهم ثواب فنحن نجنيه... اذهبوا عفونا عنكم.. عسى أن يحسن إسلامكم..

(يهب الثلاثة صارخين بالفرح، ويتعانقون، ويقبلون بعضهم البعض).

يحيى بن أكثم: هذا أول ذنب لهم فى الإســلام.. لقــد قــبلوا بعضهم، وليسوا من المحارم..

المأمـــــون: تفك قيودهم ، ويجلد كل واحد منهم عشرين جلدة... عن القبلات!!

(يخرجهم الحرس بعد فك قيودهم، بينما تتجه كل الأنظار إلى صموئيل ومعاوية، وتسود فترة صمت، يدور المأمون فى خلالها حولهما فى تأمل شديد)..

المأمـــــون: أتريان كل هذه الجثث الملقاة هنا، وآلاف الجثث فى كل درب وموقع.. أنتما قاتلاها ، أيها السفاحان..

(يحاول الاثنان الحديث، فيسكتهما المأمون).

المأمـــــون: عقابكما أكبر من كل عقاب بشرى... القتل قليل.. قطع الأعضاء عضوا عضوا لا يفى بذنبكما... عقابكما... عقابكما .

(حينها يتحرك الصليب المكسور من فوق الأرض لينغرس فى بطن صـمـوئيل، ويطير الهلال المكسور أيضا ليخنق معاوية، ومع صرخاتهما... يعلو فى الخارج صوت الأذان من عدة اتجاهات ثم يتداخل معه طرق الأجراس، من عدة اتجاهات أيضا.. وينسحب الضوء بالتدريج).

ستار النهاية

هوامش

- الحدث المحورى للمسرحية وهو ثورة البشموريين وقع فعلا عام ٢١٦ هـ... وهناك أحداث ووقائع أخرى متخيلة.
- بعض الشخصيات تاريخية وبعضها متخيل.
- الجمل الموضوعة بين هذا التنصيص « » نصوص أصلية.
- مراجعى فى هذا العمل:

* مصر الإسلامية وأهل الذمة: د. سيدة إسماعيل كاشف - ط هيئة الكتاب فى سلسلة تاريخ المصريين - عام ١٩٩٣.
* معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية: نريمان عبد الكريم أحمد: ط هيئة الكتاب - سلسلة تاريخ المصريين - عام ١٩٩٦.
* عيون الأخبار: لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) - المجلد الأول - ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عن نسخة مصورة من ط دار الكتب - عام ١٩٦٣.
* الأغانى: لأبى الفرج الأصفهانى على بن الحسين (٣٥٦ هـ - ٩٧٦م) ط كتاب دار التحرير - المجلد ٣ ، بتهذيب ابن واصل الحموى - بدون تاريخ وكذلك الجزء ١٠، ١٩ من (الأغانى) ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى مصورة عن دار الكتب بدون تاريخ.
* ولاة مصر: لمحمد بن يوسف الكندى (ت : ٣٥٠ هـ) - ط هيئة قصور الثقافة - عام ٢٠٠١ - تحقيق د. حسين نصار.
* الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية : د. حسين نصار - ط هيئة قصور الثقافة - عام ٢٠٠٢.

صدر للكاتب

فى الشعر:

- فصل من التاريخ الخاص (ديوان) هيئة الكتاب ١٩٨٩
- الميلاد غدا(ديوان) هيئة قصور الثقافة ١٩٩٦
- اليوم العاشر (ملحمة) هيئة الكتاب ١٩٩٣
- اليوم العاشر (طبعة ثانية) مكتبة الأسرة ٢٠٠١
- مذكرات فلاح (ديوان) هيئة الكتاب ١٩٩٩
- وهج (ديوان) مكتبة الأسرة ٢٠٠٠

فى الدراسات:

- مع الضاحكين (فى الأدب الساخر) مكتب أوزوريس ١٩٩٥
- مع الضاحكين (طبعة ثانية) مكتبة الأسرة ٢٠٠٢
- ديوان القاهرة (دراسة أدبية تاريخية) صندوق التنمية الثقافية وهيئة الكتاب ١٩٩٨
- المغترب .. غالى شكرى (حوار جيلين) هيئة الكتاب ٢٠٠٠
- الإبداع الجديد وقضايا المجتمع (نقد تطبيقى) هيئة الكتاب ٢٠٠٢
- حديث النساء.. كتاب الجمهورية ٢٠٠٥ .

فى المسرح:

- بنات للبيع ، هيئة الكتاب ٢٠٠٢

أبطال قهوة جداليا... هيئة الكتاب ٢٠٠٥

صدر من هذه السلسلة

٣٤- أيام إخناتون.................. إبراهيم الحسينى عثمان
٣٥- شيرويت ع الإنترنت................ عبد المقصود محمد
٣٦- فنون الفرجة الشعبية فى مقامات المنحوس..... حمدى عبد العزيز
٣٧- المحاكمة............................ عبد الستار الخضرى
٣٨- ديوان المظالم.......................... عبد الغنى داود
٣٩- الغرفة.................................... محمود نسيم
٤٠- آلوه... يا مصر........................... نجيب سرور
٤١- تحت الشمس.......................... أمين بكير
٤٢- المرحوم والانتهازيون لا يدخلون الجنة.......... عبد الغفار مكاوى
٤٣- أرض لا تنبت الزهور......................... محمود دياب
٤٤- اللعبة والملعوب........................... محمود عبد الله
٤٥- دستور يا أسيادنا......................... محمود الطوخى
٤٦- نصف حى ونصف ميت................. نادية البنهاوى
٤٧- زنقة الرجالة.............................. بهيج إسماعيل
٤٨- السلطان يلهو........................ محفوظ عبد الرحمن
٤٩- الضفة الأخرى............................. سليم كتشنر
٥٠- آخر أيام أخناتون........................ مهدى بندق
٥١- ابن أبيه .... فكرى النقاش

نصوص مسرحية

* «نصوص مسرحية» سلسلة شهرية تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة وتعنى بنشر الأعمال المسرحية الطويلة من كافة الأجيال (الرواد - كبار الكتاب - المواهب الجديدة). كما تحاول المشاركة فى إحياء حركة النقد من خلال دراسات نقدية مصاحبة للأعمال المنشورة .

* وترحب «نصوص مسرحية» بنشر الأعمال فى هذا الإطار - وطبقاً للوائح المالية والإدارية المعمول بها فى الهيئة - على أن يرسل النص من ثلاث نسخ (كمبيوتر أو آلة كاتبة أو بخط واضح مقروء) مصحوباً بالسيرة الذاتية للمؤلف والعنوان ورقم التليفون .

***

المراسـلات :

الهيئة العامة لقصور الثقافة

١٦ أ ش أمين سامى - قصر العينى

الدور الحادى عشر - إدارة النشر

رقم بريدى : ١١٥٦١

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)